'AZIZ

AMRIKA BAYT
JUHA

2267
·10314
·312

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
DUE XXXXXXXXXXXXXXXX	JUN 15 1983		
		JAN 18 1983	

a32101 001414901b

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
DATE DUE

JUN 1 5 2017

أمريكا.. بليت حما؟!

بقلم
جورج طرابيشي

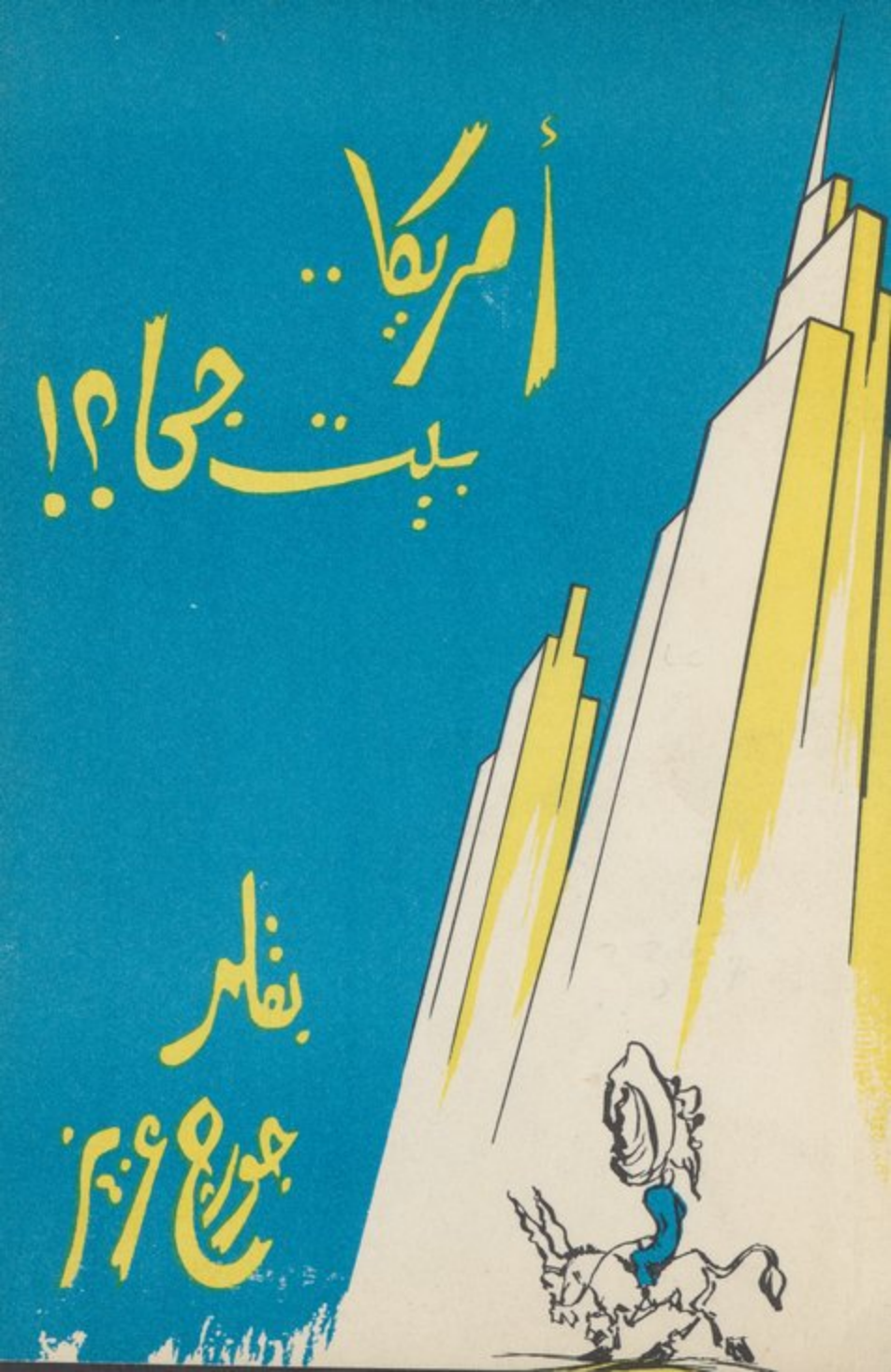

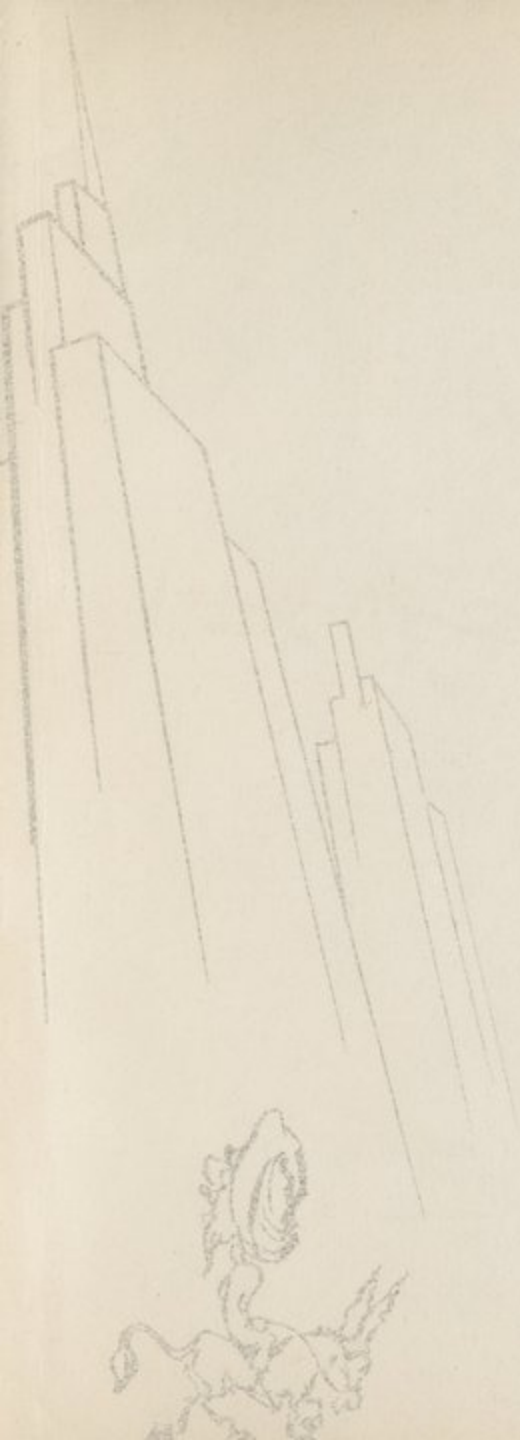

ʿAzīz, Jūrj

جورج عزيز

Amrikā bayt Juḥā

أمريكا.. بيت جحا!؟

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

2267
.10314
.312

إلى قراء **العالم**

ودّا

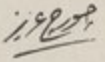

٥٠٢٥-٦٧ ١٩٨٩

فهرس

صفحة

كلمة تمهيدية ٩

خواطر من واشنطن ١٣

بيت جحا ٢١

أوربا الصغيرة ٣٣

مصنع السلام ٤٣

عاصمة العزلة ٥٥

لوحة زيتية تنبض بالحياة ٦٥

صاحب « عمر الخيام » ٧١

المكارثية ٧٩

عظمة الصناعة ٩٥

صاحبة الجلالة الصحافة ١٠١

المادية والروحية والديمقراطية ١١٣

رأس المال عبد للمجتمع ١٢٥

المرأة الأمريكية ١٣٣

أمريكا والشرق الأوسط ١٤١

أمريكا والعالم ١٤٩

كلمة تمهيدية

قُبيل سفرى إلى الولايات المتحدة فى الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٥٣ ، كنت أتحدث عن رحلتى مع بعض الزملاء والأصدقاء ، وأعربت لهم عن رغبتى فى وضع كتاب عن « العم سام » وبلاده الواسعة الأرجاء ، المترامية الأطراف . فاقترح علىّ أحدهم أن يكون عنوان الكتاب « مصرى فى أمريكا »، ورأى آخر أن يكون العنوان « مشاهدات فى العالم الجديد » وآثر ثالث أن يكون العنوان « جبابرة الصناعة » ، وتساءل رابع : ولم لا يكون العنوان « أعجبنى ولم يعجبنى فى أمريكا » .

وطال الحديث والنقاش ، وكنت أقل المجتمعين تحمساً للعنوان . وبعد أن قضيت فى أمريكا الأسبوعين الأولين تذكرت ذلك الحوار فابتسمت ، ووددت لو أن أولئك الزملاء والأصدقاء كانوا معى ليدركوا أن مقترحاتهم كانت سابقة لأوانها ، وأن الحديث عن الولايات المتحدة يختلف كل الإختلاف عن الحديث عن إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا مثلا ، فأمريكا قارة طويلة عريضة شاسعة ، أما فرنسا أو إيطاليا أو إنجلترا فلا تعدو أن تكون جزءاً من قارة ، وليروا معى أن من المبالغة والإسراف أن

يزعم كاتب أن فى وسعه أن يضع كتاباً جامعاً مانعاً — كما يقول المناطقة — عن قارة لا يقضى فيها إلا شهرين أو ثلاثة أشهر ، وليوقنوا أن الكتابة عن أمريكا تحتاج إلى مجلد ضخم لا يمكن وضعه إلا بعد زيارة تدوم بضعة أعوام على أقل تقدير .

الواقع أننى لم أشاهد إلا مجموعة من الصور والألوان ، ولم تلتقط نفسى إلا طائفة من الانطباعات ، مع أننى كنت أستخدم الطائرات فى تنقلاتى حتى يتسنى لى أن أزور أكبر عدد من المدن والأقاليم والولايات ، ومع أننى كنت دائم الاختلاط بالناس ، مدفوعاً إلى ذلك بحاستى الصحفية ، كثير التردد على المعالم التاريخية والمرافق العامة ، والمعاهد العلمية ومعاهد الأبحاث والمصانع ، فى كل مكان واتتنى الفرصة لزيارته .

وكلما طالت رحلتى إزددت تواضعاً وشكّاً فى قدرتى على وضع كتاب بمعنى الكلمة ، لا عن أمريكا بل عن نيويورك أو شيكاجو أو دالاس أو نيو أورلينز ، إلا إذا قضيتُ فى تلك البلاد أعواماً طوالا ، أنفقها فى الدرس والبحث والتقصّى ، والتجول المستمر فى الولايات الثمانى والأربعين ، وفى مدن كنيويورك وشيكاجو وديترويت ولوس إنجليس . . . نيويورك بسكانها الذين يربون على ثمانية ملايين ، وأحيائها المتباعدة المتعددة الألوان ، ومسارحها وملاهيها وأنديتها التى تعد بالمئات ، وشيكاجو بأسواقها الدولية ومراكزها الصناعية الضخمة وحركتها التجارية المذهلة ، وديترويت

تمثال الحرية

المركز الرئيسى لصناعة السيارات، ولوس انجليس التى تضم، فيما تضم، هوليود عاصمة السينما التى تقطع فيها شارعاً رئيسياً لا يقل طوله عن ثمانين كيلومتراً .

هى صور سريعة بل خاطفة ، حاولت جاهداً أن ألتقطها فى دقة وعناية ما وجدت إلى الدقة والعناية سبيلا .

وهى ألوان ارتسمت فى مخيلتى ، أعكسها فى هذا الكتاب دون أن أزعم أننى أسوق إلى القارئ الأصل بكل دقائقه وأضوائه وإشعاعاته .

وهى تيارات اجتماعية وسياسية لم أدّخر وسعاً فى سبيل الإفضاء إليها لمعرفة حقيقتها .

هذه الصور والألوان والانطباقات هى جوهر هذا الكتاب ، وهى متداخلة متشابكة إلى حد أستطيع معه أن أزعم أن ثمة وحدة تشملها .

لعلك ترى معى ، بعد أن تفرغ من القراءة ، أن هذا العالم الجديد يحيرك بضخامته ، وتعدد جوانبه ، وتباين صوره وألوانه ، وتلاطم أمواجه الاجتماعية ، وكثرة عناصره ، وتشعب مسالكه ، حتى ليخيل إليك ، لو كنت زائراً عابراً ، أنك فى « بيت جحا » .

ج . ع .

خواطر من واشنطن

واشنطن كعبةُ الديمقراطيات ما فى ذلك شك ، وهى عاصمة الولايات المتحدة التى تتزعم ، بمواردها الضخمة وقوتها الصناعية الجبارة ، « العالم الديمقراطى الحر » .

ولكن مما يدعو إلى العجب حقاً أن سكان كعبة الديمقراطيات ليس لهم حق الانتخاب . وهم محرومون من هذا الحق لأن العاصمة يجب أن تظل متخذة موقف الحياد من الأحزاب السياسية .

وإذا كانت واشنطن مركزاً للعالم الغربى ، فهى ليست مركزاً للولايات المتحدة عند كثير من الأمريكيين .

وقد قيل لى إنه كان ثمة تفكير فى نقل مقر الحكومة إلى عاصمة أخرى .

إن واشنطن تحكم أضخم حضارة صناعية عرفها العالم حتى يومنا هذا ، ولكنك لا تجد فيها إلا بضع مداخن متباعدة .

وهى تمثل بلاد ناطحات السحاب ، ولكنك لا تجد فيها عمارات وأبنية تكاد تلمس السحاب كتلك التى تراها فى نيويورك أو شيكاجو مثلا .

وجو هذه العاصمة الجبارة التى يمتد نفوذها إلى سائر أنحاء العالم

شديد التقلب ، فحرها فى الصيف قائظ خانق لاشتداد الرطوبة ، وبردها فى الشتاء قارس يرغمك على أن تقبع فى عقر دارك من جراء كثافة البرد والجليد .

وإذا كانت واشنطن مدينة بيضاء لأن فيها البيت الأبيض ، ولأن معظم أبنيتها تكاد تكون بيضاء ، فإن سكانها مزيج من البيض والسود ، ونسبة الزنوج فيها تزيد على ثلاثين فى المائة .

وواشنطن عاصمة بطيئة النبض ، إذا صح لنا أن نستعمل هذا التعبير . فليست فيها بورصة ، وهى خلو من الضواحى الصناعية ، وليس فيها « حى لاتينى » كباريس أو نيويورك أو حتى شيكاجو — وعدد مسارحها بعد على أصابع اليد الواحدة .

وحين يصل عقرب الساعة إلى السادسة مساء تصاب هذه العاصمة بضرب من الشلل السياسى والإدارى . وفى حوالى الساعة التاسعة مساء توشك الشوارع الرئيسية أن تخلو من المارة .

وفى واشنطن عشر نساء لكل ثمانية رجال . وطبيعى ، والحالة هذه ، أن يكون تنافس النساء على الرجال شديداً ، لأن رغبة الآنسات ، وبينهن عوانس كثيرات ، فى الزواج ملحة . ولكن الجرائم الغرامية ضئيلة جداً .

أما عمر هذه العاصمة التى تتحكم فى مصير العالم ، وتستطيع أن تزيل كل أثر للحياة من على وجه الأرض إذا هى قررت استخدام ما لديها

من قنابل ذرية وهيدروجينية ، فلا يزيد على ١٦٣ سنة ، فقد وضع الجنرال « جورج واشنطن » الحجر الأساسى لأول أبنيتها فى الخامس عشر من أبريل عام ١٧٩١ .

ولقد أفدت من زيارتى لواشنطن والاتصال بالأصدقاء من رجال سفارتنا فيها فائدة كبيرة ، إذ اتضحت لى أهمية الاتصالات الشخصية ، وأيقنت أنها تحدث فى الدوائر الأمريكية تأثيراً ينبغى لنا بل يتعين علينا ، أن نكون حريصين أشد الحرص على دوامه واستمراره .

هل تستطيع أن تصدق مثلا أن فى وسع المكتب الصحفى بسفارتنا هناك أن ينبرى وحده للوقوف فى وجه الدعاية الصهيونية الواسعة فى الولايات المتحدة دون أن ينفق ملايين الدولارات التى يرصدها الصهيونيون فى سبيل الدعاية لإسرائيل ؟

الجواب الوجيز على هذا السؤال أن خمس صحف فى واشنطن ونيويورك هى « واشنطن بوست » و « إيفننج ستار » و « هيرالد تريبون » و « نيويورك تيمس » و « كرستيان ساينس مونيتور » نشرت فى أربعة أيام نحو عشرين عموداً عن مصر ، مع أن الصحف الأمريكية كانت إذ ذاك — يناير عام ١٩٥٤ — معنية أشد العناية بنشر مقالات وأنباء وتحريات عن سياسة الرئيس ايزنهاور لمناسبة بدء دورة الكونجرس الجديدة ، وعن الصراع الشديد بين الحزبين الجمهورى والديمقراطى ، وما إليهما من

الموضوعات التى يهتم بها القارئ الأمريكى أكثر من اهتمامه بأنباء سائر بلاد العالم بمراحل .

وفى الأيام الأربعة نفسها نشرت الصحف الأمريكية زهاء خمسة أعمدة فقط عن مسائل تتصل بإسرائيل .

وواضح كل الوضوح أن هذا الكسب المتزايد الذى تظفر به مصر فى الميدان الصحفى الأمريكى مرده إلى الاتصالات الشخصية التى يقوم بها ممثلونا الدبلوماسيون فى تلك البلاد ، وما يبذلونه من جهد طيب مثمر أحب أن أسجله لهم فى هذا الفصل .

كذلك يطيب لى أن أسجل نشاط الطلبة المصريين فى سائر أنحاء الولايات المتحدة ، فهم يؤدون واجبهم نحو أمتهم على أتم وجه مستطاع بما يلقونه من محاضرات يستقون موضوعاتها من النشرات الدورية المنتظمة الدقيقة التى يوزعها عليهم المكتب الصحفى ، وبما يذيعونه من تصريحات تلقى كثيراً من الضوء على المسائل المصرية التى يريد الأمريكيون الوقوف عليها .

وبهذه المناسبة أذكر أن من يعتقد أن وزارة الخارجية الأمريكية هى كل شىء فى رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، يكون مخطئاً .

فالكونجرس واقف للحكومة بالمرصاد ، يحاسبها على كلّ كبيرة

وصغيرة ، ويدخل على برامجها التعديلات التى يراها متفقة مع مصالح البلاد ، ويلغى منها ما يرى أن تلك المصالح تقتضى إلغاءه .

ومعنى هذا أنه ينبغى لنا ألا نقصُر نشاطنا الدبلوماسى فى واشنطن على الاتصال بكبار رجال وزارة الخارجية الأمريكية ، بل يجب أن يكون لنا هناك من الرجال الأكفاء الذين يجيدون فن الاتصال الشخصى عدد يكفى لإحداث تيارات سياسية واقتصادية لصالح مصر فى أروقة الكونجرس .

لا شك أن رجال سفارتنا هناك يبذلون قصارى جهدهم للاضطلاع بالمهام الدقيقة الموكولة إليهم ، ولا شك أن جهودهم بدأت تثمر على نحو يبشر بخير عميم .

ولكن ماذا تستطع أن تفعل جماعة من الأكفاء تضم من الأفراد عدداً أقل من الحد الأدنى المطلوب ؟

إن للدعاية والاتصالات الشخصية فعل السحر فى الولايات المتحدة. فلنخض غمار هذا الميدان على النحو الذى يكفل لنا النجاح فيه ، وبالكيفية التى تتفق مع العقلية الأمريكية .

لهذا كله اقترحت فى مقال كتبته فى يناير من العام الماضى على السيد الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى أن يضاعف اهتمامه بتعزيز مكتبنا فى واشنطن ، ومكتبنا فى الأمم المتحدة ، وأن ينشئ مكتباً صحفياً كبيراً فى نيويورك ، ذلك أن لنا فى تلك البلاد أصدقاء كثيرين من الأمريكيين

الذين لا يترددون فى الدفاع عن مصالحنا دفاعاً قوياً فعالا مفيداً كلما زودناهم بالبيانات والمعلومات التى يحتاجون إليها .

كذلك اقترحتُ على السيد وزير الإرشاد أن يفكر فى أمر آخر أعتقد أن له أهميته وهو اختيار بعض كبار الأمريكيين من أصدقاء مصر وتعيينهم قناصل فخريين لمصر فى بعض المدن الأمريكية الكبرى . وأعتقد اعتقاداً جازماً أن تنفيذ هذه الفكرة سيؤدى حتماً إلى نتائج طيبة ، ويعاون مكاتبنا الصحفية فى تلك البلاد معاونة مثمرة ما فى ذلك ريب .

المجال إذن واسع فسيح للاتصالات الشخصية ، والنشاط الصحفى ، والدعاية المثمرة لبلادنا ، فعلينا أن نغتنم الفرصة وهى الآن مواتية .

بَيْتُ جُحَا

فى الفصل السابق تحدثت عن واشنطن مقر الحكومة الفيديرالية للولايات المتحدة الأمريكية . ولكن صورة هذه العاصمة التى غدت منذ الحرب العالمية الأخيرة محط أنظار ساسة العالم والمركز الذى توجه منه السياسات الدولية ، لا يمكن أن تكتمل إلا إذا حدثتك عن دار فريدة فى هندسة بنائها ، فريدة فيما يجرى داخلها من نشاط متعدد النواحى ، فريدة فيما تشتمل عليه من أقسام متباينة يعمل فيها أناس تختلف مهنهم وحرفهم اختلافاً كبيراً . . تلك هى دار « البنتاجون » مقر وزارة الدفاع الأمريكية .

ويحضرنى ، وأنا أكتب عن مبنى البنتاجون ، ما درسته فى طفولتى عن ذلك القصر الذى بناه فرعون مصر « أمنمحعت » الثالث فى مقر ملكه بإقليم الفيوم ، وكتب عنه المؤرخ الاغريقى القديم « فلوتارخوس » يقول إنه كان يتألف من ثلاثة آلاف غرفة نصفها تحت الأرض والنصف الآخر فوقها . . ذلك القصر الذى جاء وصفه فيما كتب المؤرخ وقد أطلق عليه الإسم الذى صار يُعرف به فى كتب التاريخ القديم ، هو قصر « لا بيرنت » . وقيل إن الإسم مأخوذ عن كلمتين بلغة القدماء المصريين هما « لابير أهونت » .

بيد أن الاسم الذى أطلقه عليه « فلوتارخوس » وهو « لابيرنت » أصبح اسما لكل مكان لا يعرف الإنسان متى دخله ولا يعرف كيف يخرج منه.

حضرنى ما قرأته وأنا طالب صغير عن ذلك القصر القديم الذى لاتزال بعضُ أطلاله قائمة أو مدفونة تحت الأرض بالقرب من بلدة اللاّهُون بالفيوم، عندما دخلت مبنى « البنتاجون » الذى لا أحسب أن له نظيراً فى العالم.

وقد روى لى مرافقى الأمريكى حين بدت على أمارات العجب والدهشة مايتناقله الناس فى واشنطن من قصص ونوادر مضحكة عما حدث لبعض الأبرياء ممن ساقهم سوء الحظ إلى زيارة « البنتاجون » أو اضطروا إلى ذلك لإنجاز أعمالهم.

ولعل أطرف ما سمعته فى هذا الشأن قصة تروى على سبيل الفكاهة وإن لم يكن وقوعُها من رابع المستحيلات.

روى لى مُحَدِّثى أن سيدة اضطرّتها ظروف خاصة إلى دخول مبنى « البنتاجون »، ولكنها ضلت الطريق. وقبل وصولها إلى المكتب الذى كانت تقصده سقطت منهارة على الأرض، فتجمع الناس حولها ليعرفوا ماذا أصابها. ولما اتضح لهم أنها تعانى آلام المخاض انطلق أحد الموجودين مهرولا وعاد بعد لحظات ومعه ضابط طبيب أدى واجبه الإنسانى على أتم وجه مستطاع، إذ لم تمضِ لحظات حتى كانت السيدة راقدة فى فراش

مريح وحولها الممرضات والضابط الطبيب وقد تزودوا بكل ما يلزم لإجراء عمليات الولادة ، اليسير منها والعسير .

وبعد أن وضعت السيدة وليدها سألها من كانوا حولها عن سبب مجيئها إلى «البنتاجون» وهى فى آخر أيام الحمل . فكان ردها الذى أدهش الجميع هو أنها حين دخلت « البنتاجون » لم تكن فى آخر أيام الحمل !

لا شك أن المقصود بما تنطوى عليه هذه القصة من خيال ومبالغة هو توكيد ما يلقاه زائر « البنتاجون » من مشقة وإعنات إذا لم يستعن بالدليل الذى طبعته وزارة الدفاع الأمريكية ليسترشد به زوار المبنى ومن يريدون الاتصال بإدارات الوزارة ومكاتبها .

حقيقة إن من يدخل مبنى « البنتاجون » يلقى نفسه فى ذلك التيه الذى يعرف فى اللغات الأوربية باسم « لابيرنت » ويعرف عندنا باسم « بيت جحا » .

زرت « البنتاجون » بعد أن سمعت الشئ الكثير عن ضخامته . والواقع أن كل ما يعرفه الناس عن هذا المبنى هو أنه ضخم ، ولكن من المتعذر على المرء أن يتصور مبلغ ضخامته . ويمكن تقريب الصورة إلى ذهن القارئ ببعض البيانات المدعمة بالأرقام عن هذا المبنى الذى يضم بين جدرانه من الموظفين والعمال والمكاتب أكثر مما يضم أى مبنى حكومى آخر فى الولايات المتحدة .

يقوم المبنى على قطعة أرض مساحتها ٣٤ فداناً ، أى ما يعادل ثلاثة أضعاف المساحة التى يشغلها مبنى « امباير ستيت » فى نيويورك المؤلف من مائة طابق وطابقين ، أو ما يقرب من ثلاثة أمثال المساحة التى يشغلها هرم الجيزة الأكبر .

وللرقم (٥) شأن كبير فى هذا المبنى وهندسته ، فهو يتألف من خمسة « بلوكات » الواحد منها داخل الآخر فيما يشبه الحلقات ، ولكن فى غير استدارة ، إذ أن كلا منها عبارة عن شكل خماسى منتظم ، ولهذا سمى « البنتاجون » أى ذو الأركان الخمسة . ولعل اختيار هذا الاسم هو الذى جعل الرقم (٥) أو مضاعفاته نصب أعين المهندسين المعماريين الذين وضعوا التصميم .

ويتألف المبنى من خمسة طوابق فوق طابق نصفى (ميزانين) يعلو الطابق الأرضى و « البدروم » وقد روعى عند وضع التصميم ألا يكون فى ارتفاع المبنى خطر على الطائرات التى تهبط فى مطار واشنطن القريب ، أو تنطلق منه .

وثمة عشرة ممرات تصل بين الحلقات الخمس . وهذه الممرات أشبه « ببرانق » العجلة الممتدة إلى الإطار الخارجى . ومنها خمسة تتجه من المحور إلى زوايا « البلوك » الخارجى الخمس . أما الممرات الخمسة الأخرى فتصل إلى منتصف الأضلاع الخمسة مارة بمنتصف الأضلاع الخمسة لكل من البلوكات الأربعة الأخرى .

« البنتاجون » . . . بيت جحا ! ؟

صورة أخرى لبيت جحا !.

ومن عجب أن هذا المبنى خلوٌ من المصاعد الكهربائية التى استغنى عنها بالسلالم الكهربائية . وثمة بيانات تهم المشتغلين بفن المعمار نسوقها فيما يلى :

إن هيكل المبنى من الخرسانة المسلحة المقواة بقضبان من الفولاذ ، والإطار الخارجى تملؤه جدران صُبَّت من الخرسانة المسلحة ، كل جدار منها قطعة واحدة . ويبطن هذه الجدران جدران أخرى من الحجر الجيرى. وعدد الأعمدة التى أقيمت من الخرسانة المسلحة كدعامات للمبنى ٤١٤٩٢ عموداً استخدم فى صنعها نحو ٤٢٥ ألف قدم مكعبة من الخرسانة . وجىء بالزلط والرمل اللازم لصنع الخرسانة من قاع نهر « بوتوماك » الذى يجرى قريباً من المبنى ويفصله عن مدينة واشنطن . وأدى استخراج المواد اللازمة لإعداد الطرق والميدان الفسيح المعد لوقوف السيارات إلى وجود منخفض من الأرض صار فيما بعد تلك البحيرة الصناعية الواقعة تجاه المبنى . وتقدر كمية الأتربة التى أُخذت من مكان البحيرة بأكثر من خمسة ملايين وخمسمائة ألف ياردة مكعبة .

وتمّ إنشاء المبنى فى منتصف شهر يناير من عام ١٩٤٣ بعد أن استغرق بناؤه ستة عشر شهرا . وبلغ عدد العمال الذين استُخدموا فى البناء ، خلال إحدى الفترات ، ثلاثة عشر ألف عامل كانوا يعملون بالتناوب طيلة ساعات النهار والليل الأربع والعشرين .

وبلغت نفقاتُ الإنشاء خمسة وثلاثين مليوناً من الدولارات مما أثار احتجاج بعض أعضاء الكونجرس ، وذهب بعض كبار الاقتصاديين إلى أن هذا يعد تبذيراً لا مبرر له على الإطلاق .

وطول الممرات فى « البنتاجون » نحو ٢٨ كيلو مترا ، أى ما يعادل المسافة بين أهرام الجيزة ومصر الجديدة . ولكن بفضل التصميم الهندسى الفذ لا تزيد المسافة بين أية غرفتين فى المبنى على خمسمائة وخمسين مترا يقطعها الزائر فى ست دقائق تقريباً . أما محيط المبنى فيبلغ حوالى الميل .

إن الموظفين الجدد والزوار يجدون أنفسهم فى حيص بيص متى دخلوا المبنى للمرة الأولى ، فيتولاهم الارتباك وتستبدّ الحيرة بهم . ومن ثم عمدت إدارة المبنى إلى وضع نظام منطقى لترقيم المكاتب بغية التخفيف من المشاق التى يلقاها الجمهور فى تحديد مواقع الإدارات المختلفة . فإذا كان رقم الغرفة مثلا ٤ هـ ٩٣٥ فمعنى ذلك أن على الزائر أن يصعَد إلى الطابق الرابع من البلوك هـ الخارجى ويتجه إلى الممر رقم ٩ حيث يجد الغرفة رقم ٩٣٥ .

ولعل مشكلة الاتصال التليفونى كانت أعقد مشكلة صادفت المشرفين على إنشاء « البنتاجون » ، فإن جسامة هذا المبنى تتضح جلياً إذا عرفنا أن عدد الخطوط التليفونية فيه تبلغ ٣٩ ألف خط أى مايزيد على عدد الخطوط التليفونية فى جميع مدن الجمهورية المصرية باستثناء القاهرة . ويقدر طول

الأسلاك التليفونية التى استخدمت فى مد تلك الخطوط بما يزيد على مائة وخمسين ألف ميل ، أى ستة أضعاف محيط الكرة الأرضية وثلاثة أمثال المسافة بين الأرض والقمر !

ويضم هذه الخطوط « سويتش » فرعى خاص بوزارة الدفاع يعد الأكبر من نوعه فى العالم . ويمكن أن يتم الاتصال المباشر بين أى خطين من خطوط ذلك « السويتش » . ويقدر عدد المكالمات التى تتلقاها هذه الخطوط فى أيام العمل العادية بنحو ٢٥٠ ألف مكالمة .

ومبنى « البنتاجون » مدينة كاملة تكفى نفسها بنفسها ، فهى لا تعتمد على مدينة واشنطن فى شىء سوى إمدادها بالتيار الكهربائى . ففى الطابق الأرضى وفى البدروم يجد الموظفون والعمال ، ويربو عددهم على ثلاثين ألفاً ، كل ما يلزمهم من مأكل ومشرب وملبس وخدمات عامة من شتى الأنواع .

فمطاعم « البنتاجون » وباراته ومقاهيه (الكافيتيريا) الستة عشر التى يعمل فيها سبعمائة شخص تقدم ١٢ ألف وجبة يومياً ، وتلبى ٢٨ ألف طلب من المشروبات الكحولية وتقدم ٣٠ ألف قدح من القهوة ، إلى جانب ١٠,٠٠٠ « شوب » من اللبن وأكثر من ٤٠٠٠ زجاجة من المياه الغازية .

وفى رواق كبير داخل المبنى طوله ٢١٠ أمتار تقريباً وعرضه ٤٠ مترا

تجد حيًّا من أحياء الأعمال يفوق ما تجده فى مدينة أمريكية متوسطة ، فمن متجر أشبه بالمتاجر الكبرى التى تجدها فى شارع ٢٣ يوليه بالقاهرة بل ما يفوقها ، إلى محل للمجوهرات ، ومخبز فيه كل أنواع الخبز والفطائر والحلوى ، إلى محل لبيع الزهور ومخزن للأدوية . وهنا مكتبة وهناك كشك لبيع الصحف . وهذا حانوت حلاق وذاك مكتب للبريد وآخر للتلغراف .

وفى « البنتاجون » ، عدا كل ذلك ، فرع لأحد المصارف الكبرى ومكتب للضرائب يؤدى فيه الممولون من موظفى وزارة الدفاع وعمالها ما عليهم من ضرائب منوعة . وثمة مستشفى عسكرى يعمل فيه عشرون طبيبا ، ومستوصف للمدنيين ومركز للإسعاف .

وهناك ٢١ سلماً تؤدى من ذلك الرواق الفسيح إلى محطة السيارات والأمنيبوس وسيارات التاكسى ، تنتهى عندها ثلاثة طرق منها طريقان لسيارات الأمنيبوس التى تنقل ٢٥ ألف راكب فى الساعة الواحدة. ويمكن شحن ٢٨ من سيارات الأمنيبوس هذه فى وقت واحد .

وهناك حلبتان فسيحتان مُعَدّتان لوقوف السيارات الخاصة إحداهما إلى الشمال من المبنى والثانية إلى الجنوب . وتبلغ مساحتهما زهاء خمسين فدانا وهما تتسعان لما يقرب من ٨٣٠٠ سيارة .

أمّا شبكة الطرق المؤدية إلى « البنتاجون » فأعترف بعجزى عن وصفها ، فهى تُحيِّر كل غريب يحاول الوصول إلى المبنى فى سيارته الخاصة ، إذ

لا يستطيع مهما أُوتى من الفطنة والذكاء أن يفهم شيئاً من هذه الدوائر المتداخلة وغير المتداخلة ، والمنحنيات الصاعدة والهابطة التى وضع تصميمها الخبراء من مهندسى الطرق لتنظيم مرور آلاف السيارات الخاصة وسيارات الأمنيبوس وغيرها من أنواع المركبات المتجهة إلى المبنى .

أمّا النظام المتبع داخل « البنتاجون » فيعد من أغرب الأنظمة المعروفة فى العالم ، وهو نظام يكفل بقاء درجتى الحرارة والرطوبة عند رقم لاتتجاوزانه فى كل من فصلى الشتاء والصيف ، فدرجة الحرارة فى الشتاء ٧٥ فهرنهيت وفى الصيف ٧٨ فهرنهيت (٢٤ و ٥ و ٢٤ مئوية تقريباً) . أما درجة الرطوبة فهى ٣٠ فى المائة شتاء و ٥٠ فى المائة صيفا .

وهذا كله يضاعف القدرة على الإنتاج بطبيعة الحال . ومن شأنه فى الوقت نفسه أن يحفظ الوثائق من التلف . فنى مثل درجات الحرارة والرطوبة هذه لا يمكن أن تعيش الحشرة المعروفة باسم « السمكة الفضية » وهى نوع من « العتة » التى تصيب الأوراق بتلف كبير ، فى حين يساعد الجو الرطب الذى يسود وادى نهر بوتوماك المنخفض على انتشار هذه الحشرة وأمثالها .

والعجيب فى نظام تكييف الهواء الذى ابتدعه الفنيون لاستخدامه فى « البنتاجون » أنه عندما تتسلط أشعة الشمس على أحد جوانب المبنى فى الصباح وعلى الجانب المقابل له بعد الظهر ، خلال الصيف ، تعمل العيون

الاليكترونية المثبتة فى سقف المبنى بطريقة آلية فتعطى إشارة بزيادة التبريد على كل من هذين الجانبين فى الوقت المناسب. وإذا تلبدت السماء بالغيوم عملت الأجهزة الخاصة عملها فتفتح صمامات خاصة أو تقفلها دون أن تمتد إليها يد الإنسان !

أورُبّا الصّغيرة

جامعة كولومبيا فى نيويورك . . من الجو

عامل يثبت جهازاً لإرسال صور التلفزيون على قمة مبنى « امباير ستيت » . .
أعلى مبنى فى العالم . . ارتفاعه ١٢٥٠ قدماً ! .

فكرت طويلا قبل الشروع فى كتابة هذا الفصل . فكرت فيما يمكن أن أكتبه عن نيويورك ، مدينة ناطحات السحاب ، مع أنى لم أقض فيها إلا زهاء ثلاثة أسابيع ، ومن ثم لم يتسنّ لى أن أزور إلا معالمها الرئيسية .

وفكرت فى مئات الأمور والأشياء التى لفتت نظرى ، واستّرعت انتباهى ، وأثارت اهتمامى ، وفكرت فيما أستطيع أن أتحدث عنه حديثَ المُلمّ بالموضوع إلى أقصى حد مستطاع .

فكرت فى هذا كله فاستبّدت بى الحيرة . إن نيويورك مدينة محيرة فى تشعبها وعلوها . إنها عدة مدن فى مدينة ، وعدة أقطار فى قطر .

والمدن التى تتألف منها هى « منهاتن » و« بروكلين » و « كوينز » و « برونكس» و « رتشموند» . ولكل منها مظهرها ، ولهجتها ، وروحها القومية ، وأدبها الشعبى .

إنها مدينة أوربية ما فى ذلك شك ، ولكنها ليست ملكاً لأى بلد أوربى . فهى تُمثّل أصدق تمثيل عدة أقطار أوربية نخص بالذكر منها إيطاليا وبولندا وبوهيميا والمانيا وهولندا ، كما تمثل أرمينيا والصين وبلاداً أخرى فى القارة الأسيوية . وسكانها يمثلون ٥١ جنسية . وتصدر فيها صحف باللغات

الألمانية والأسبانية والإيطالية واللتوانية والمجرية والروسية والدانمركية واليونانية، وأهم الصحف العربية التى تصدر فيها هى الهدى لصاحبتها مارى مكرزل، و « السمير » لصاحبها الشاعر الكبير إيليا أبو ماضى . وخليق بالذكر أن مؤسس صحيفة « الهدى » كان أول من أدخل الحروف العربية على آلات اللينوتيب . وأعتقد أن ثمة صحفاً أخرى تصدر فى نيويورك بلغات أجنبية لا أعرف عنها شيئاً .

وإليك بعض الأرقام التى استطعت الوقوف عليها : إن سكان هذه المدينة يستهلكون فى اليوم الواحد ما يزيد على ١٥,٦٣٨,٨٥٥ كيلوجراما من المواد الغذائية ، و ٨٨,٩٠٥ أطنان من الفحم و ١٥,١٢٠,٠٠٠ لتر من المازوت الذى يُستَخدَم فى توليد الغاز والكهرباء والبخار . وفيها أكثر من ٤٣٠٠٠ مصعد كهربائى ، أى نحو ٢٠ فى المائة من مجموع المصاعد الكهربائية فى الولايات المتحدة . وإذا صفّت هذه المصاعد الواحد تلو الآخر لبلغ طولها ٢٥٦٠ كيلو مترا ، ولا يقل مجموع الكيلو مترات التى تقطعها يومياً ، صعوداً وهبوطا ، عن ٢٠٠,٠٠٠ ، أى نصف المسافة بين الأرض والقمر . ويستهلك النيويوركيون فى اليوم الواحد نحو ٤,٤٣٦,٠٠٠,٠٠٠ لتر من الماء .

ونيويورك هى المركز الفنى والمسرحى والأدبى للولايات المتحدة . وهى

كذلك مركز الأزياء والصحافة والراديو والتلفزيون . ففيها تسمع أحدث الألحان الموسيقية ، وتغذى عقلك وقلبك بمشاهدة المسرحيات الممتعة ، وتقضى ساعتين فى « راديو سيتى » يبهرك خلالهما رقص تشترك فيه مائة وعشرون من الراقصات « الذريات » أو « الصاروخيات » ، وتشنف أذنيك جوقة موسيقية قوامها نحو مائة من أمهر العازفين ، وتشاهد ، فوق ذلك ، فيلماً سينمائياً رائعاً .

أما أناقة النيويوركيات فحدث عنها ولا حرج . إنهن يذكرنك بالباريسيات فى رشاقتهن وفتنتهن ، وباللندنيات فى بساطتهن الساحرة .

إن مساحة نيويورك الآن ٩٤٥ كيلو متراً مربعا . وطول شوارعها نحو تسعة آلاف كيلو متر . وكان تعداد سكانها فى عام ١٩٥٠ ما يقرب من ثمانية ملايين نسمة .

ونيويورك هى « منهاتن » أولا وقبل كل شىء . وطول هذا الحى عشرون كيلو متراً وعرضه أربعة كيلو مترات . ومع ذلك يقيم فيه قرابة مليونى نسمة ، وفيه عشرون جسراً ، وألف ملهى .

وكل الأسماء التى تعنى نيويورك تجدها فى « منهاتن » ، وول ستريت (حى المال والأعمال) وبردواى ، وميدان التيمس ، والشارع الخامس ، والحديقة المركزية (سنترال بارك) ، وهارلم ، وفندق والدورف استوريا ، ومجمع روكفلر ، وعمارة امباير ستيت التى يبلغ ارتفاعها ١٢٥٠ قدماً ، وتمثال الحرية . . .

ولأحدثك أولا عن « وول ستريت » ، أى شارع الحائط . لقد أطلق عليه هذا الإسم لأن « بيتر ستيفنسنت » ، وكان مديراً عاماً لنيو أمستردام (اسم نيويورك الأصلى) بنى حائطاً فى المكان نفسه كجزء من المراكز الدفاعية لمقاومة القوات الإنجليزية التى احتلت المدينة فى الثامن من سبتمبر عام ١٦٦٤ وأطلقت عليها اسم « نيويورك » تكريماً لدوق يورك شقيق ملك إنجلترا تشارلس الثانى .

و « وول ستريت » هو العمود الفقرى ، أو المركز العصبى ، للنظام الرأسمالى الأمريكى . ففيه تجد المصارف الكبرى ، وبورصة نيويورك . وتعقد فيه يومياً صفقات تقدر بعشرات الملايين من الدولارات .

ننتقل الآن إلى « برودواى » أى الشارع الواسع . إنه يستمد شهرته العالمية من مسارحه وملاهيه ومطاعمه ودوره السينمائية وكثرة ما فيه من أضواء تخطف الأبصار .

فى ملاهى هذا الشارع تسمع أبدع الألحان الزنجية الراقصة يعزفها لك موسيقيون عالميون أمثال « ديوك ولنجتون » و « كاونت بيسى » ، وأروع الأنغام الأرجنتينية والمكسيكية والبرازيلية ، وأحلى الألحان الأوربية .

وفى مسارح هذا الشارع تنفق ساعات ممتعة فى مشاهدة اللون التمثيلى الذى تؤثره . . الدراما العنيفة ، أو المأساة المبكية المضحكة ، أو التمثيلية الهزلية التى تذكرك بموليير ونجيب الريحانى ، أو الاستعراض الموسيقى الخلاب .

وفى مطاعمه الأنيقة التى تعد بالعشرات تأكل ما لذ وطاب من ألوان الطعام الأمريكى فى جو أمريكى ، والطعام الأوربى فى جو فرنسى أو إيطالى ، والطعام الشرقى فى جو فوار بسحر الشرق .

وهذا الشارع الواسع لا يخلو من الشحاذين ، ولكنهم شحاذون من نوع خاص . . . فهذا شاعر أخنى عليه الدهر يمد إليك يده بديوان فيه كل ما فاضت به عبقريته الشاعرية ، وذاك موسيقى سيء الحظ يسمعك لحناً حلواً على الكمان أو الأكورديون أو القيثارة . إن شحاذى هذا الشارع يكسبون قوتهم بعرق الجبين وبالفن .

و « هارلم » ، حَىُّ الزنوج ، يبدأ حيث ينتهى الشارع الخامس ، شارع أصحاب الملايين . ويقيم فى « هارلم » ، طبقاً لآخر إحصاء ، نحو ٣٥٠ ألف شخص . وهم خليط من الزنوج والملونين والأسبان والإيطاليين والبورتوريكيين (نسبة إلى بورتوريكو) والمارتينيكيين والهاييتيين (نسبة إلى المارتينيك وهاييتى) .

وقد قيل لى إن قليلين جداً من البيض يتزوجون زنجيات ، فى حين أن كثيرين من الزنوج يقترنون بفتيات من البيض ، وهؤلاء يقمن مع أزواجهن فى « هارلم » .

وأهم صحف هذا الحى « أمستردام نيوز » ويربو توزيعها اليومى على نصف مليون نسخة .

وتتألم نيويورك لمآسى العالم القديم على نحو واضح ملموس . فالنيويوركيون الإرلنديون ظلوا عدة أعوام يجمعون التبرعات لتمكين بلادهم الأصلية من الاستقلال. والنيويوركيون الايطاليون يبذلون قصارى جهدهم فى سبيل مناهضة الشيوعية فى إيطاليا . وكانت ألمانيا النيويوركية ، أو إن شئت فقل نيويورك الألمانية ، تبدى إعجابها بهتلر ، وتشيد بالحركة النازية فى جرأة وشجاعة ، إبان الحرب العالمية الثانية .

وأعتقد أننى أكون بعيداً كل البعد عن المبالغة إن قلت إنك لاتستطيع أن تشعر بقوة نبض العالم الحديث إلا إذا زرت نيويورك . فى كل خطوة تخطوها هناك تتجلى لك قوة الإنسان . وليس فى هذه المدينة شىء لم تصنعه يد البشر . وحركة الصناعة هذه متصلة لا تتوقف أو تنقطع . وفى هذا تفسير للسرعة التى تتبدل بها معالم نيويورك وتتغير . والواقع أن ما من مدينة فى العالم تفوق نيويورك فى سرعة التغير .

يقول الكاتب الفرنسى الكبير « بول كلوديل » : « الكتابة عن أمريكا كتصوير الطفل بالفوتوغرافيا . لا تكاد تنتهى من التقاط الصورة حتى يتغير الطفل ، وتتغير أمريكا » . وهذا الكلام ينطبق على نيويورك بالذات ، ما فى ذلك شك .

ولقد أشار الكاتب الإنجليزى الشهير « هـ . ج . ويلز » إلى ناطحات السحاب فى نيويورك فقال إنها تذكره على الدوام بالروح التجارية البحت

التى تنطوى عليها الحضارة الأمريكية .

والواقع أن الشرقى أو الأوربى الذى يزور نيويورك يشعر لفوره بالحنين إلى عواصم عالمه القديم حيث ينعم بشىء لا يستهان به من الهدوء والدعة ، ذلك أن الحياة فى تلك المدينة الجبارة كالدوامة ، إنها فوارة بالأخذ والرد فى كل ساعة بل فى كل دقيقة ، فوارة بالحركة السريعة التى تجرفك أمامها فى عنف إذا استحال عليك الاندماج فيها ، أو تخلفك وراءها ذليلا ، مهيض الجناح ، لا تملك من أمرك شيئا ، ولا تعرف لنفسك مصيرا .

ولكن من المحقق أن هذا الزائر الشرقى أو الأوربى يخرج من الأيام أو الأسابيع أو الأشهر التى يقضيها فى هذه المدينة المنهكة المضنية ، إن صح لى أن أستخدم هذا التعبير ، بدرس فى فوائد النشاط لا يستطيع أن ينساه .

لقد أحببت باريس مدينة النور ، وأحببت لندن مدينة التقاليد ، وأحببت روما مدينة الفن ، ثم أحببت نيويورك ، لأن فيها من نور باريس ، وتقاليد لندن ، وفن روما . . .

قالوا : باريس ترقص ، وروما تغنى ، ولندن تعمل . . . وفاتهم أن يقولوا إن نيويورك ترقص وتغنى وتعمل فى آن .

قصر الأمم المتحدة . . فى الليل

مصنع السّلام

حدثتك فى الفصل السابق عن نيويورك ، أوربا الصغيرة ، أو إن شئت فقل العالم مصغرا .

وفى هذا الفصل أحدثك عن جزء هام بل حيوى من هذه المدينة الجبارة التى أرهقت أعصابى قبل أن ترهق جيبى ، والتى أعترف بعجزى عن أن أعيش فيها أكثر من بضعة أشهر . ليس مردُّ هذا العجز إلى أننى تجاوزت السن التى أستطيع فيها أن أتأقلم ، وليس مرده إلى أن أعصابى مرهقة من جرّاء إخلاصى وولائى لصاحبة الجلالة الصحافة التى تستبد برعاياها وتفرض عليهم تضحيات منهكة ، فإننى ما زلت ، ولله الحمد ، قادراً على بذل مزيد من هذه التضحيات . وإنما سبب عجزى أن جوَّ نيويورك مزاج من الانفعال السريع الذى تلمسه عند الفرنسيين والإيطاليين وسائر شعوب البحر الأبيض المتوسط ، والهدوء المطبوع على الصبر والأناة الذى تجده عند السكسونيين ، ومن المناورات الفوارة بالنشاط الجم التى تقتضيها الصفقات التجارية المذهلة والحملات الإعلانية التى تشعرك بأنك كالدمية تتقاذفها الأيدى ، ومن الأضواء الخاطفة المتعدِّدة الألوان التى تحيرُ بصرك فى كل مكان والضوضاء المزعجة التى تقض مضجعك .

لقد شعرت فى ذلك الخضم بأننى كالأسير أو السجين الذى يخيل إليه بادئ ذى بدء أن فى وسعه أن يألف حياة الأسر والسجن، إذا اعتصم بالصبر وهدأ من روعه، وقبل الأمر الواقع.

أجل، أحببت تلك المدينة المضنية، ولن يتحول هذا الحب إلى كراهية إلا إذا أرغمتنى الظروف على أن أعيش فيها أكثر من بضعة أشهر.

والآن أحدثك عن ذلك الجزء الهام بل الحيوى...

من كان يدرى أن ذلك المجزر الذى كان قائماً على ضفة النهر الشرقى فى «منهاتن» سيصبح يوماً ما المكان الذى يلتقى فيه ممثلوا الدول ليحلوا دون حدوث مجازر بشرية، ويتعاونوا على صون السلام وتوطيد أركانه، وعلى فض المنازعات الدولية بالوسائل السلمية، والقضاء على أسباب الحروب؟

تلك البقعة التى كانت تذبح فيها الخراف والعجول ثم استحالت إلى حلبة دولية سلمية، كانت جزءاً من أملاك المليونير الأمريكى روكفلر.

أراد ذلك الرجل أن يضرب عصفورين بحجر واحد. تبرع بجزء من الأرض لتقيم فيها الأمم المتحدة مقرها الدائم. وهذا جميل جداً. ولكن أجمل منه وأدل على الفطنة، والذكاء، وبعد النظر، والبراعة فى استثمار المال، أنه أفاد من تشييد مبنى الأمم المتحدة إذ طفق يستغل الأراضى المحيطة بمقر الهيئة استغلالا عاد عليه بخير مادى جزيل إذ ارتفع ثمنها أضعافا.

ويسمى النيويوركيون الأمم المتحدة « القفص الزجاجى » أو « علبة الكبريت » . فهى مبنى شاهق يشبه فى تصميمه علبة الكبريت ، مؤلف من ٢٨ طابقاً ، ويعمل فيه يومياً نحو أربعة آلاف موظف ، ويزوره سنوياً نحو مليون نسمة .

وعدد المراسلين الدائمين فى الأمم المتحدة يتراوح بين ١٩٠ و ٢٠٠ مراسل . وفى أثناء الدورات يقفز هذا الرقم إلى ٧٠٠ ، على أقل تقدير .

وحين كنت فى نيويورك رأيت من واجبى أن أكثر ما استطعت من التردد على مقر الهيئة ، والاتصال بأكبر عدد من أعضاء الوفود ، والحصول على البيانات والمعلومات التى تعوزنى عن الأعمال والمهام الاجتماعية التى تضطلع بها هذه الهيئة . فأنا بحكم عملى أتتبَّع عن كثب ، وفى شىء من كثير من الاهتمام ، أعمالها السياسية ، وأحاول الوقوف على تفاصيل المنازعات الدولية التى تثار فى الجمعية العامة أو اللجنة السياسية الرئيسية أو اللجنة السياسية الخاصة المتفرعة عنها . وأبذل قُصارى جهدى فى سبيل استخلاص النتائج الملموسة والتطورات المرتقبة من المعارك الكلامية .

وقد أتيحت لى الفرصة أثناء ترددى على مقر الهيئة لحضور جلسات بعض اللجان . وقد شهدت جلستين لمجلس الأمن ، واستطعت أن أتتبع المناقشات عن كثب . وقد خرجت بنتيجة رئيسية عامة تُعد فى الواقع من محاسن الأمم المتحدة ، إذ اتضح لى أن هذه الهيئة بمثابة صمام الأمان للمرجل

الضخم ، ففيها تنطلق الألسنة فى حرية تامة ، وتلقى الخطب الضافية دون ما قيد ، ويخوض المتخاصمون والمتنازعون أعنف المعارك الكلامية . . . إنها مضمار دولى تتفجر فيه مراجل الغضب والحنق والسخط بدلا من أن تتفجر فى ساحات الوغى .

ولقد استطاعت الأمم المتحدة ، فضلا عن ذلك ، أن تسوى مشكلات أو تمهد لفض منازعات أوشكت فى وقت ما أن تؤدى إلى نشوب حروب لا يعلم إلا الله مدى العواقب الوخيمة وألوان الخراب والدمار التى كان يمكن أن تترتب عليها . ويكفى أن نذكر فى هذا الشأن مشكلتى كشمير واندونيسيا

° ° °

فى الرابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٤٥ أُعلن ميثاق الأمم المتحدة متضمنا الأمانى المشتركة التى تنطوى عليها نفوس البشر جميعا بوصفه دستورا رضيت الأمم الأعضاء الاهتداء بهديه فى دعم الصلات القائمة بينها والتى تربطها بالعالم أجمع . وقد قررت أن توحد جهودها لإنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى ذاقت الإنسانية الأمرين من جرائمها فى جيل واحد ، وأن تؤكد من جديد إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان ، وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والأمم ، كبيرها وصغيرها ، من حقوق متساوية ، وأن تبين الأحوال التى يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى ، وأن

تدفع بالرقى الاجتماعى قُدُما ، وأن ترفع مستوى الحياة فى جو من الحرية أفسح ، وأن تأخذ أنفسها بالتسامح ، والعيش معاً فى سلام وحسن جوار ، وأن تضم قواها لصون السلم والأمن الدولى ، وأن تكفل ، بقبولها مبادئ معينة ورسم الخطط اللازمة لها ، ألا تستخدم القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة ، وأن تستخدم الأداة الدولية فى ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية .

إن الأمم المتحدة لم تدخر وسعاً ، على الرغم من العقبات والعوامل المُثبطة التى واجهتها ، فى سبيل القضاء على أسباب الخوف ومعاول الهدم والدمار . ولا شك عندى فى أنها وفقت توفيقاً كبيراً فى هذا المضمار . وإذا كان التوفيق قد خانها فى بعض الأحيان فمرجع ذلك إلى طبيعة تكوينها ، وما فى ميثاقها من نقص أو ضعف فى بعض مواده .

أما الأعمال والمهام الاجتماعية الإنسانية التى تضطلع بها الأمم فمجال الحديث عنها واسع ، ولا ريب فى أن شتى المنظمات التى وكلت إليها تلك المهام قد سجلت نجاحاً يدعو إلى التفاؤل والاستبشار حقًّا .

والرأى عندى أن فى مقدمة تلك المنظمات ، المنظمة الدولية للطفولة ، وقد أنشئت فى شهر ديسمبر عام ١٩٤٦ . وهى تحصل على الأموال اللازمة لها من الحكومات الأعضاء التى تتبرع لها . وتنفق تلك الأموال على توفير

الطعام والملابس والعلاج للأطفال الفقراء المعوزين فى نحو خمسين بلدا فى أوربا وآسيا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية .

ولقد خرّبت الحرب العالمية الثانية ملايين من الدور ، وشردت ملايين من الأسر . وتعمل الأمم المتحدة ، عن طريق وكالاتها المتخصصة ، ولا سيما منظمة اللاجئين الدولية ، على توفير أسباب الأمل فى الحياة للاجئين والمشردين . وقد أنشئت هذه المنظمة فى شهر يوليه عام ١٩٤٧.

ومن أهم مزايا التعاون الصادق بين الأمم أن فى وسعها أن تعالج معاً مشاكل يتعذر على كل منها أن تعالجها على حدة . ويتجلى هذا التعاون فى هيئة الطعام والزراعة ، فهى تكافح المجاعات ، وتعمل على توفير المواد الغذائية .

ومعروف أن الخبرة الصناعية والعلمية اللازمة للتقدم فى حلبة الحضارة والمدنية ليست متوافرة إلا فى بلاد تعد على أصابع اليد الواحدة . وغنىٌّ عن الذكر أن ثمة ثغرة خطيرة بين الأمم المتقدمة صناعيا والمناطق المتخلفة اقتصاديا . وهنا تتضح لنا أهمية برنامج المساعدات الفنية الذى تنفذه الأمم المتحدة ، فهو يوفر العون الفنى لكثير من البلدان ، نذكر منها بوليفيا والبرازيل وشيلى وإكوادور وهايتى والمكسيك وبورما وإيران وباكستان ، وغيرها من البلاد التى تعوزها تلك الخبرة الصناعية والعلمية .

وعندما يحين الوقت لكتابة تاريخ هذا القرن العشرين الذى نعيش

فيه سيسجّل المؤرخون للأمم المتحدة فضلها على البشر بما كفلته لهم من حقوق وحريات منصوص عليها فى تصريح حقوق الإنسان .

فمنذ فجر التاريخ لم يدّخر الإنسان وسعاً فى سبيل توكيد حقوقه ، وتوفير العوامل التى تكفلها، وجعلها بمنجى من القيود الاستبدادية الصارمة. ولم ينقطع كفاح الإنسان ونضاله فى هذا الميدان على الرغم مما عاناه من جور وعسف ، ومن بطش وظلم وطغيان ، فى مراحل حياته المتعاقبة . واستطاع الإنسان أن يبلغ هدفه حيناً ، ولكن النجاح لم يحالفه فى أغلب الأحيان لأنه عجز عن توفير الأسباب القوية التى تمكنه من مغالبة العسف والتخلص من الطغيان .

وظل الإنسان هكذا يتقدم فى حلبة النضال عن حقوقه المشروعة العادلة المقدسة خطوة ، ولا يلبث أن يلفى نفسه مكرهاً على الارتداد خطوات ، إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية بأهوالها وأعمالها الوحشية الإجرامية ، فأماطت اللثام عما تنطوى عليه بعض النفوس الوضيعة الحقيرة عن احتقار لحقوق الفرد واستهانة بها ، وإهدار لكرامته ، وتمرّد مخيف على القيم الروحية والمبادىء الإنسانية التى لا يستطيع الإنسان أن يحيا بدونها ، وإلا كان كالآلة الصماء أو الإنسان الآلى « الروبوت » يفتقر إلى الدوافع المعنوية التى تشجعه على العيش فى صميم الحياة لا على هامشها ، وتعوزه الطاقة الروحية التى تدفعه إلى الأمام ، وتعينه على أن ينهض بنفسه ويسمو.

ولكن الحرب العالمية الثانية بشرورها وأهوالها لم تيئس الإنسان ولاهى استطاعت أن تقضى على أمله فى أن يبلغ غايته التى ناضل فى سبيلها منذ وجد على وجه الأرض، أو تحُول دون تطلعه إلى مستقبل زاهر مشرق، تتوافر فيه العوامل التى تكفل له حقوقه المقدسة.

وفى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ تحققت تلك الأمنية وتنفّس الإنسان الصعداء، وأيقن أن كفاحه الطويل المضنى لم يذهب هباء منثورا. فلقد أجازت الجمعية العامة للأمم المتحدة، بإجماع مندوبى الدول الأعضاء، الإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

وأهمّ ما ينبغى أن يلاحظ هنا أن هذا الإعلان يعد فريداً فى نوعه، لأنه ليس مقصوراً على جماعة أو شعب معين، وإنما قصد به أن يكون نبراساً تستضيء به الإنسانية جمعاء، وشعلة قوية يشمل وهجها الجميع بلا استثناء.

وتتجلى القيمة الحقيقية لإعلان حقوق الإنسان حين نعرف أنه يعارض كل تمييز أو تفريق بين الناس، وينص على تقديس حريات الجميع، ولا يستثنى من ذلك أهالى البلاد غير المستقلة أو غير المتمتعة بالحكم الذاتى.

ولم يكتف الإعلان بالنص على الحقوق التى سبق الاعتراف بها كحرية الفرد والعقيدة وحرية الاجتماع وحق المحاكمة وغيرها من الحريات

والحقوق التى نصّت عليها وثائق حقوق الإنسان السابقة ودساتير كثير من الدول ، بل اشتمل كذلك على حقوق وحريات واسعة تمتد إلى جميع ميادين النشاط البشرى ، وفى مقدّمتها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وكان للمرحوم الدكتو محمود عزمى فضل كبير فيما بذل من نشاط استهدف توكيد حقوق الإنسان . وكان ذلك فى مقدمة العوامل التى جعلت اسمه يلمع فى الأمم المتحدة .

بيد أن الأمم المتحدة لاتزال ، على الرغم من هذا كله ، بعيدة كل البعد عن أهدافها لأنها لم تستكمل بعد الأداة التى تيسّر لها تحقيق رسالتها على النحو المنشود ، ولأن ثمة صراعنا مريراً بين الأفكار والنظريات ، وتطاحناً هائلا بين القوى ، ولأن خطر نشوب حرب عالمية أخرى لن يزول إلا يوم تنشىء الأمم المتحدة قوة جماعية تمنع العدوان المسلح أو تقضى عليه .

والخلاصة أن أسس هذه الهيئة تستند إلى الإيمان . . . إيمان الناس بالقيم الإنسانية ، وإلى عقيدة هى أن الناس فى كل بقعة من بقاع الأرض يتطلعون إلى مثل عليا واحدة ، وإلى هدفين جوهريين هما العدالة والسلام .

عَاصِمَة العُزْلة

عاصمة العزلة هى « شيكاجو » أكبر أسواق الحبوب فى العالم ، وأشد مدن العالم صلفاً وكبرياء ، وأكبر مركز للمواصلات الحديدية ، فهى ملتقى اثنين وعشرين خطا رئيسيا وسبعة عشر خطا فرعيا .

قضيت فى هذه المدينة الجبارة حقا ، التى تبسط نفوذها على «السهول الكبرى » و « البحيرات الكبرى » ، أربعة أيام رأيت فيها عجباً ، وسمعت عجباً .

رأيت نهر شيكاجو فاعتقدت أنه يصب ماءه فى بحيرة « متشيجان » ، ثم تبين لى أن العكس هو الصحيح ، فإن البحيرة هى التى تصب مياهها فى النهر بواسطة مضخات ضخمة ، لتغذية قناة صناعية !

ورأيت قضباناً حديدية معلقة ، فلما سألت عن سبب تعليقها قيل لى إن خطوط المترو فى شيكاجو لم تمد إلا فى سنة ١٩٤٠ .

وأدركت أن المسافة التى تقطعها فى المدينة على طول بحيرة « متشيجان » تزيد على خمسين كيلو متراً !

وسمعت فى تلك المدينة أناساً يقولون فى زهو وكبرياء « إن كل الطرق تؤدى إلى شيكاجو ، وإن الناس جميعاً جاءوا إليها أو سيجيئون إليها » . بل سمعت هذا القول « إذا كنت تبحث عن شخص لا تعرف عنوانه

أو بلده فقف عند ملتقى شارعى راندلف وستيت وثق أنه سيمر بك يوماً ما!»

وأكثر من ثلث سكان شيكاجو لم يولدوا فى الولايات المتحدة، ولكنها، على الرغم من كثرة الهولنديين والبولنديين فيها، تعد عاصمة العزلة فى الولايات المتحدة.

وعلم هذه العزلة هى صحيفة «شيكاجو ديلى تربيون» التى يصدرها الكولونيل «روبرت رثرفورد ماكورميك» والتى تدعى أنها أكبر صحيفة فى العالم.

وفى هذا يقول الكاتب الأمريكى «جون جنتر» فى مؤلفه النفيس «داخل أمريكا» إن صحيفة «شيكاجو تربيون» هذه، أكثر من صحيفة يومية... إنها إمارة إقطاعية شديدة الحساسية، تدافع عن سياسة خارجية من وضعها هى.

ويمضى «جنتر» فيقول إن «التربيون» تُذكره بالاتحاد السوفييتى الذى يقضى وقته فى شن الحملات السياسية، وهى، شأنها شأن الاتحاد السوفييتى، دكتاتورية يسيطر عليها رجل واحد يحذر الأجانب حذراً أعمى، ويملك موارد طبيعية لم يستثمرها جميعاً، ويكره أصحاب الدخل الثابت، ويمقت الإنجليز، وينفر من السياسة البورجوازية نفوراً شديداً.

والكولونيل «ماكورميك» مشهور بسرعة الانفعال، والرغبة العارمة

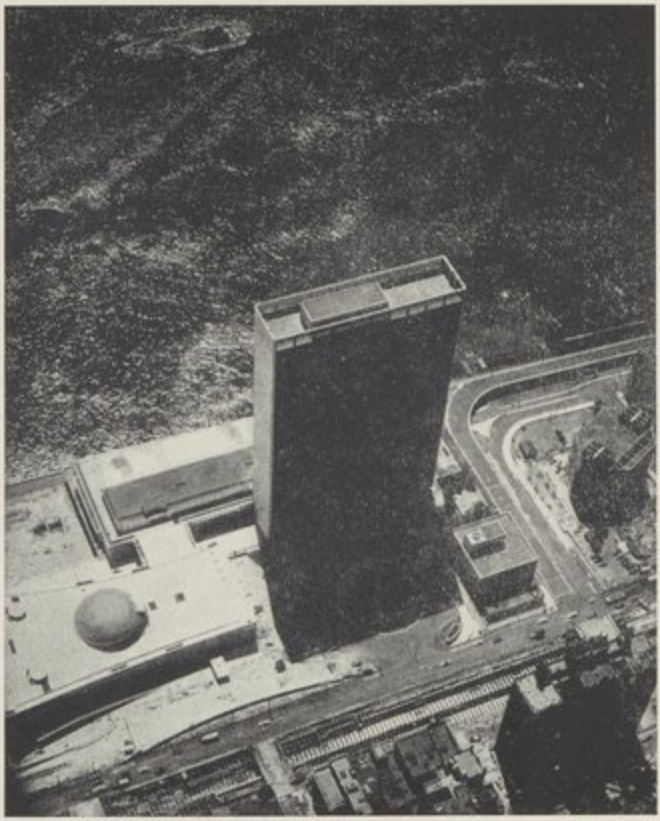

منظر من الجو للقفص الزجاجى . . . مبنى الأمم المتحدة

فى فرض رأيه دون مناقشة . وآية ذلك أنه أمر ، ذات يوم، بانتزاع نجم من العلم الأمريكى الذى يرفرف فوق دار صحيفته ، ليعاقب ولاية « رود أيلاند » بعد أن انتهى إليه أن سكانها لم يتجهوا فى الانتخابات الوجهة التى كان يرجوها فى عام ١٩٥٢ ، ثم راح يشن على الرئيس أيزنهاور حملة شعواء .

وحين عقد الحزب الجمهورى مؤتمره الانتخابى الرئيسى فى شيكاجو كتب «ماكورميك» فى صحيفته فصلا رئيسياً قال فيه إن أيزنهاور لايستطيع أن يأمل فى أن يرشحه الحزب لرياسة الولايات المتحدة . ولم يكتف « ماكورميك » بذلك بل راح يؤيد « هاملتون فيش » زعيم العزليين الذى حاول ، وقتئذ ، أن يحدث صدعاً فى الحزب الجمهورى بإنشاء حزب جديد من الجمهوريين الثائرين على السياسة الدولية التى تنتهجها الحكومة .

بيد أن الجهد الذى بذله « ماكورميك » فى صحيفته الواسعة الانتشار لم يحل دون موافقة أغلب أعضاء الحزب الجمهورى على ترشيح أيزنهاور للرياسة .

ومن عجب أن كثيراً من الرسوم الكاريكاتورية التى تنشرها هذه الصحيفة تمثل « العم سام » فى شكل قروى ساذج يستغله الأوربيون الأذكياء . وكان أحد الرسوم يمثل « كليمنت آتلى » . رئيس الوزارة البريطانية السابقة ، حاملا علماً وهو يقول للعم سام : « ارعبوا ستالين بقنبلتكم الذرية التى يتكلف صنعها نحو مليارين من الدولارات ، حتى

يتسنى لإنجلترا الانفراد بإدارة شئون أوربا بالخمسة مليارات دولار التى ستقرضوننا إياها بدون فوائد » .

وفى الثالث من شهر مارس عام ١٩٤٥ نشرت هذه الصحيفة نبأ تحت عنوان ضخم هو « قتل زوجته وأحرق جثتها » ، ونشرت تحت هذا العنوان الضخم عنواناً صغيراً هو « الأمريكيون يجتازون نهر الرين » .

هذه هى صحيفة « شيكاجو تربيون » التى يزعم « جون جنتر » أنك لا تستطيع أن تفهم الولايات المتحدة إلا إذا عرفتها — أى الصحيفة — وعرفت صاحبها.

وقد أدركت مدى كراهية « ماكورميك » للأوربيين حين اطلعت على مقال كتبه عند مناقشة العون الأمريكى لأوربا . قال : « عندما زرت المكسيك قبل عامين ، تعذر علىّ النوم من جراء نباح الكلاب المتوحشة ... والرأى عندى أن نُرسل تلك الكلاب إلى أوربا ليأكلها الأوربيون الجائعون . »

* * *

والآن أنتقل إلى بيت الطلبة فى جامعة « شيكاجو » ، وهو البيت الذى شاءت الظروف أن أقيم فيه ثلاثة أيام .

هذا « البيت الدولى » يضم طلبة يمثلون زهاء خمس وخمسين دولة . وهو ، إذن ، أمم متحدة صغيرة كنت أود لمندوبى الدول فى الأمم المتحدة أن يقيموا فيه فترة من الزمن ليدركوا — إن كانوا فى حاجة إلى الإدراك — معنى التعاون

الصادق والتآلف الوثيق ، وليعرفوا — ولا أحسبهم يجهلون — كيف يكون النقاش مثمراً ، بعيداً عن المناورات الخبيثة ، خلواً من المطامع والأغراض التى تتعارض مع الأهداف السلمية للشعوب الراغبة فى المعايشة الخالصة الصادقة أى ، فى أن تعيش وتدع غيرها تعش فى أمن وهدوء وطمأنينة .

ناقشت طلبة هذا « البيت الدولى » فى كثير من الأمور فألفيتهم يقبلون الحجة الوجيهة المقنعة فى سماحة تدعو إلى الإعجاب حقا ، واتضح لى أنهم يستهدفون فى حياتهم اليومية المتعة العقلية التى تيسرها لهم الدراسة فى تلك الجامعة العظيمة ، وأنهم يرون الجوانب الطيبة فى الحياة قبل أن يروا جوانبها السيئة ، ويؤمنون بأن الحياة أخذ ورد ، وأن التعاون ينبغى أن يتم فى جو من الهدوء والطمأنينة والأمن ، فى جو ملؤه الإشراق والتفاؤل والاستبشار وحسن النية .

هذا هو الجو الذى عشت فيه ثلاثة أيام نعمت خلالها بالراحة النفسية ، وشعرت بسعادة لا حد لها ، ولذة ذهنية أنستنى ما فى الحياة من شرور وآثام وآلام .

وقبل تلك الزيارة بأسبوعين تقريباً ، كان الصديق الفيلسوف الكريم الدكتور « شارل مالك » ، رئيس الوفد اللبنانى فى الأمم المتحدة ، قد دعانى إلى الجلوس معه فى الجلسة التى عقدها مجلس الأمن للنظر فى مشكلة تحويل مجرى الأردن ، وهو المشروع الذى تصر إسرائيل على تنفيذه .

رأيت فى ذلك المجلس ، وهو جزء رئيسى من الأمم المتحدة ، العجب العجاب . . رأيت كيف يكون التنافر والتباغض بين الدول ، ورأيت كيف تدبر المناورات والمؤامرات فى الأروقة ، وأيقنت أن الأمم المتحدة فى حاجة ماسة إلى تطهير شامل إذا أريد لها البقاء والاستمرار ، وإذا أريد لها أن تضطلع بالمهام السامية الموكولة إليها .

° ° °

وبمناسبة الحديث عن جامعة شيكاجو أذكر أن لكلمة الجامعة عند الأمريكيين طائفة من المعانى المتداخلة المتشابكة ، يكاد المرء لا يجد لها مثيلا فى سائر بلاد العالم .

فهى تعنى الزمالة الصادقة ، والتعاون الوثيق بين الطلبة فى قاعات المحاضرات ، وفى حلبة الألعاب الرياضية ، وساعات الفراغ والتسلية ، وهى تعنى الود الذى يربط الأستاذ بتلاميذه وتعنى التثقيف المتصل المطرد على أساس من النقاش الهادئ المثمر الطويل ، ثم تعنى أبنية جميلة فيها قاعات فسيحة تتوافر فيها الشروط الصحية ، وتحيط بها الملاعب السندسية والحدائق الغناء .

وإذا كنت تسمع فى الولايات المتحدة من يقول لك إن ابنه يساوى مليون دولار مثلا ، فإنك تسمع أكثر من ذلك من يفخر بأن ابنه متخرج فى جامعة « كولومبيا » أو جامعة « ييل » أو جامعة « برنستون » أو جامعة « شيكاجو »

وأهم ما ينبغى ذكره هنا أن الحكومة الاتحادية لا تمنح الجامعات أية إعانات . وليس فى الولايات المتحدة جامعات اتحادية ، وإنما فيها جامعات خاصة ، وجامعات تحصل على مساعدات مالية من المجالس البلدية ، وجامعات تنفق عليها حكومات الولايات . ومصروفات الدراسة فى النوعين الأخيرين من الجامعات أقل منها فى النوع الأول بمراحل .

ولكل من الجامعات فى الولايات المتحدة ، وعددها ١٧٥٢ جامعة ، شخصيتها وطابعها الخاص ، وأهدافها الفكرية والثقافية ، وشهرتها فى تدريس علم أو أكثر من العلوم . وبين الجامعات تنافس شديد يتفق وطبيعة هذا الشعب الذى يؤثر نظام المنافسة الحرة فى كل شىء على أى نظام آخر .

ويتجلى هذا التنافس بين الجامعات ، أكثر ما يتجلى ، فى اختيار المديرين . فجامعة كولومبيا مثلا ، تفخر بأن الرئيس أيزنهاور تولى رياستها بعد أن ذاعت شهرته إبان الحرب العالمية الثانية بوصفه القائد العام لقوات الحلفاء فى الميدان الأوربى . وجامعة بنسلفينيا تفخر بأن مستر هارولد ستاسن ، الذى رشح نفسه فى انتخابات رياسة الجمهورية ، تولى رياستها فترة من الزمن .

وعندما يفرغ الطالب من دراسته يتسلم درجته العلمية فى حفل جامعى

يسمى البداية Commencement . وهذه الكلمة معناها أن الجامعة لا تُهمل شأن الطالب بعد تخرجه ، بل تمضى فى الاهتمام بأمره والإشراف الأدبى عليه . وهى لا تتردد فى مساعدته على الالتحاق بعمل إذا شاء ، أو تهيئة الظروف التى تمكنه من الحصول على إجازات علمية أرفع .

لوحة زيتية تنبض بالحياة

ناطحات السحاب فى شيكاجو . . . عاصمة العزلة

سيارات الترولى فى « ماركت » أهم شوارع عروس المحيط الهادى . . . سان فرانسسكو

الترام « اليتيم » . . . أقام الناس وأقعدهم فى سان فرانسسكو

فى هوليوود . . . هنرى ويلكوكس النجم السينمائى المخضرم
ومن كبار رجال شركة « بارامونت » يتحدث إلى المؤلف

سان فرانسسكو عاصمة ولاية كاليفورنيا ، ومن أجمل مدن الولايات المتحدة . فهى تقوم على تسعة وعشرين تلاً تنحدر إلى المحيط الهادى . .

وهى مدينة المغامرات التى تصادفك مرات فى كل يوم . . . إنها مغامرات لذيذة تشبعك روحياً ، وتشجعك على أن ترى الجوانب الجميلة فى الحياة ، وتحملك على أن تكون مشرق الوجه ، دائم الميل إلى التفاؤل والاستبشار .

وأعتقد أنى أكون بعيداً كل البعد عن المبالغة والإسراف إن قلت إن سان فرانسسكو كاللوحة الزيتية الرائعة ، تخلب لبك بجمالها ، وتسحرك بفتنتها . . . ولكنها لوحة زيتية نابضة بالحياة ، فوارة بالحركة .

وأهل هذه المدينة ديمقراطيون إلى أقصى حدود الديمقراطية . وإليك كيف لمست هذه الروح فيهم :

دعتنى زوجة المعقّب اليومى المعروف « ديك فرندليك » الذى تنفرد صحيفته « سان فرانسسكو كرونيكل » بنشر مقالاته ، إلى جلسة شعبية عُقدت فى دار البلدية ليدلى كل مواطن بوجهة نظره فى مسألة اعتبرها كثير من الحاضرين مسألة حياة أو موت . .

لاصلة لهذه المسألة بدستور الولاية ، ولا علاقة لها ببرلمانها ، ولست

أعتقد أنها يمكن أن تكون مسألة خطيرة إلى هذا الحد فى أى بلد آخر .

إنها مسألة « ترام » صغير يتسلق بعض تلال المدينة على قضيبين عاديين ، يتوسطهما قضيب ثالث متحرك يساعد العجلات على الصعود ويمنعها من الانزلاق .

هذا « الترام » اليتيم — وهو يتيم لأنه يتألف من مركبة واحدة — حبيب إلى أهل سان فرانسسكو ، فهم يعدونه جزءاً لا يتجزأ من اللوحة الزيتية الرائعة التى يعيشون داخل إطارها .

بيد أن كثيرين من رجال المال والأعمال والمرور رأوا أن ذلك الترام اليتيم الصغير الذى يزحف على القضبان فى سرعة السلحفاة ، وتنظر إليه سيارات الركاب الكهربائية العصرية الفخمة السريعة فى شىء كثير من الازدراء ، أصبح من مخلفات الماضى ، ولم يعد يساير ركب المدنية والحضارة ، فضلا عن أنه يشل حركة المرور فى الأحياء التجارية التى تغص بالناس طيلة النهار ، فقرروا الدعوة إلى انتزاع قضبانه من وسط المدينة . وكان لا بد من إثارة هذا الموضوع الخطير فى جلسة شعبية تعقد فى دار البلدية .

وقد أدهشنى ، بل أذهلنى ، أن أرى المجتمعين يهتمون بالموضوع أيما اهتمام ، ويخوضون المعركة الكلامية كأن الأمر يتصل بقوتهم اليومى ، ويشتركون فى النقاش على نحو يدل أبلغ الدلالة على مدى استعدادهم له ، ويسوقون الحجة تلو الحجة مؤيدين رجال المال والأعمال ، أو مفندين

وجهة نظرهم فى جو ديمقراطى نعمتُ بالعيش فيه أكثر من ساعتين .

لقد سحرتنى سان فرانسسكو بجمالها وروعة مناظرها ، وأبى سكانها إلا أن يسحرونى بروحهم الديمقراطية فى تلك الندوة الشعبية التى تعلمت فيها كيف يجرى النقاش المجدي، وكيف يكون التعاون فى أجمل صوره .

والآن أسوق إليك قصة فيها عظة ، وفيها عبرة . . . قصة تصور العصامية أجمل تصوير . وتمثل الرجولة أصدق تمثيل ، وتنطوى على العناصر والعوامل التى تكفل التوفيق والنجاح فى الحياة .

إنها قصة رجل عبرت به السفينة المحيط الأطلنطى منذ أكثر من ثلاثين سنة ، ثم قفلت عائدة بعد أن تركته فى نيويورك يصارع أمواج الحياة المصطخبة المتلاطمة فى تلك المدينة التى تضم أكثر من ثمانية ملايين نسمة .

غادر مسقط رأسه فى أرمينيا ولمّا يتجاوز العشرين من عمره ، بعد أن عانى الأمرَّين خلال ثلاث حروب ، ورأى أباه يلقى مصرعه على قيد خطوات منه .

وشاء له الحظ أن يسرع إلى سان فرانسسكو حيث اشتغل فى أحد المطاعم لقاء أجر قدره ١٢ دولاراً فى الأسبوع . وبعد كفاح متصل دام إزاء خمسة عشر عاماً استطاع صاحبنا أن يبتاع المطعم من صاحبه !

وهو الآن من أصحاب النفوذ الواسع فى الولايات المتحدة ، فهو صديق شخصى للرئيس أيزنهاور ، وهو من كبار مستشارى هيئة أركان حرب

الجيش فى مسائل التموين . وقد اقتصد للقوات الأمريكية المسلحة ملايين الدولارات بما عرضه عليها من مقترحات بشأن التموين نفذتها بحذافيرها دون أن تدخل عليها أى تعديل .

لقد أصبح رجلا تفخر به الولايات المتحدة ، ولكن ينبغى للعرب أن يفخروا به أيضاً . . . فهو لم ينس أنه نعم فى صباه ، وفى شرخ شبابه ، بكرم العرب . وهو لا يكف عن الدعاية لهم فى كل مكان ، وبكل ما فى طاقته من نفوذ .

قابلته فى سان فرانسسكو فرحب بى أجمل ترحيب ، وحدثنى عن مصرنا العزيزة التى زارها منذ بضعة أعوام حديثاً ملؤه الحب .

وأجمل من هذا كله أنه أهدانى صورته وكتب عليها « إلى مواطنى العزيز ». فلما واجهته بابتسامة بريئة بادرنى قائلا « . . أجل أنا مصرى وإن كنت أمريكى الجنسية . أنا مصرى بما ينطوى عليه قلبى من حب لبلادكم . لقد أكرمتم وفادتى حين هيأت لى الظروف الفرصة لزيارتكم ، وشعرت بأننى بين أهلى وعشيرتى » .

هذا الرجل الذى يتطوع للدفاع عن العرب فى كل مناسبة ، ويعرب عن حنينه إلى الشرق ، ويحاول ، ما وسعته المحاولة ، أن يخدم بلادنا بما له من نفوذ قوى فى واشنطن . . هذا الرجل العصامى اسمه «جورج مرديكيان» ، وهو يمتلك ، فيما يمتلك مطعم « عمر الخيام » فى سان فرانسسكو .

صاحِبُ «عُمَرَ الخَيّامِ»

حدثتك فى سياق الفصل السابق عن جورج مرديكيان ، فى إيجاز مُخل . ومن ثم رأيت لزاماً علىّ أن أفرد لهذا الرجل فصلا فيه تصوير دقيق ما أمكن لشخصيته ونشاطه وإنسانيته .

إنه ، كما أوضحت لك ، مهاجر أرمنى وفد على الولايات المتحدة وابتسم له الحظ . وهو يشكر الله كل يوم على رحمته به ، وفضله عليه .

هذا الرجل معروف بأعماله الخيرية فى الشرق الأوسط ، كما هو معروف بالجهد الذى بذله لتحويل «طعام الجيش» إلى وجبات مفيدة ، شهية ، لذيذة ، للجنود الأمريكيين خلال الحرب الكورية .

وهو يؤمن بأن الفرص تُخلق خلقاً ، وبأن مجال الفرص مابرح واسعاً فسيحاً فى الولايات المتحدة .

وجورج مرديكيان رجل أعمال ، ومن هواة التحف ، ومن السباقين إلى خدمة البشرية . يحج إلى مطعمه المشهور « عمر الخيام » هواة الطعام الشهى من جميع أنحاء العالم .

وهو ، فضلا عن ذلك ، يشرف على أعمال واسعة فى كاليفورنيا ، تشمل زراعة الخضر والفاكهة ، وتربية الماشية ، وإدارة إحدى محطات

الإذاعة ، والإشراف على ممتلكات زراعية شاسعة . وهو ، فوق هذا كله ، من الخطباء المفوهين الملهمين .

كيف بدأ هذا الرجل حياته العجيبة ؟

يطيب لجورج أن يسمى يوم ٢٤ يوليه يوم عيد ميلاده ، لأنه اليوم الذى خطا فيه الخطوة الأولى فى جزيرة « إيليس » عند وصوله إلى بلاد « العم سام » .

كان قد شهد ثلاث حروب ، ومجاعات ، ومذابح فى وطنه أرمينيا ، حيث رأى أباه يقتل أمامه . وبدت له جزيرة « إيليس » مكاناً عجيباً . فهناك رأى ، لأول مرة فى حياته ، رجلا فى ثياب رسمية يبتسم له !

ومنذ تلك اللحظة أصبح جورج أمريكيا ، رغم أنه كان لا بد من انقضاء خمسة أعوام قبل أن يتجنس بالجنسية الأمريكية .

وكانت أول ليلة قضاها فى حديقة « الباب الذهبى » بسان فرانسسكو أشبه بكابوس .. خُيل إليه أن كل إنسان فى وطنه الجديد مصاب بالهوس !

ولما بزغ الفجر طفق يسير ، وتبع فى سيره قضبان الترولى حتى لا يضل ...

حدثنى جورج عن ذلك اليوم فقال : « رأيت شرطيين ابتسما لى وقالا « طاب صباحك » . ومضيت فى طريقى لا ألوى على شىء ، ورأيت كنَّاساً يقوم بعمله وهو يغنى . كان ذلك شيئاً عجيباً حقًّا ! »

ومضى يقول « وكان عامل الترولى يحاول أن يحدث نغماً موسيقيًّا بقدمه

طول هذا الكوبرى ثمانية أميال . . . وهو يصل سان فرانسسكو بأوكلاند . . .

عروس المحيط الهادى . . . من الجو

وهو يقرع الجرس . ورأيت بائع اللبن يترك زجاجات اللبن أمام الأبواب فلا يحاول أحد سرقتها . . فكان ذلك أعجب شيء رأيته فى حياتى . »

ثم قال « وفى ذلك اليوم سمعت نشيد أمريكا فوطّنت العزم على أن أكون أمريكيا مرحاً . وإنى أحاول أن أكون أمريكيا مرحاً منذ ذلك الوقت . . . »

وحصل هذا الأرمنى المهاجر على أول عمل له فى أحد المطاعم حيث اشتغل بغسل الصحاف لقاء اثنى عشر دولاراً فى الأسبوع . ثم لم يلبث أن حصل على عمل أفضل . وحين نفض يده من العمل لحساب الآخرين كان أجره الأسبوعى قد بلغ ١٢٥ دولاراً .

يقول جورج « إننى أشعر بالاشمئزاز كلما قابلت جماعة من الطلبة وسمعت بعضهم يتحدث عن « تأمين المستقبل » . لقد أمّنت مستقبلى بنفسى ، وليس أجمل من أن تشعر بأنك عرفت كيف تفعل ذلك » .

واشتغل جورج كبيراً للخدم فى رحلة بحرية حول العالم خلال عام ١٩٢٨ . وافتتح مطعمه الأول فى سان فرانسسكو عام ١٩٣٢ . وفى غضون عام ١٩٣٧ اشترى مطعمه الثالث ، وهو المطعم الذى كان قد اشتغل فيه بغسل الصحاف لقاء اثنى عشر دولاراً فى الأسبوع . وشيد مطعمه المشهور « عمر الخيام » فى ذلك المكان .

ولجورج كتاب عنوانه « العشاء فى عمر الخيام » — وهو كتاب حافل بأنواع الأطعمة والذكريات الطريفة . وهو يشتغل الآن بكتابة تاريخ

حياته ، وسينشره ببضع لغات كما سينشر ملخصه فى مجلة « ريدرز دايجيست » . وقد كتب بضع مقالات فى هذه المجلة ، وكان يراسل صحيفة « ستارز آند سترابيس » أى النجوم والشرائط ، فى عام ١٩٤٧ .

ورأى مرديكيان أن بعثة المواد الغذائية التى كان الرئيس الأمريكى الأسبق « هربرت هوفر » قد أوفدها إلى أوربا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، قد أنقذت أوربيين كثيرين من الموت جوعاً ، فقرر أن يشرف بنفسه على إعداد معسكر « هوفر » فى المخيم السنوى للنادى البوهيمى على مقربة من سان فرانسسكو .

كذلك تزعم مرديكيان حركة بيع سندات الحرب فى « فرسنو » و « سان فرانسسكو » ، خلال الحرب العالمية الثانية .

وأثناء انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة فى سان فرانسسكو خلال عام ١٩٤٥ ، يسّر مرديكيان الحياة لكثير من ممثلى الدول ، واستعان بخمسمائة من السيدات الأمريكيات على تقديم الطعام والشاى فى دار أوبرا سان فرانسسكو لألف وخمسمائة من ممثلى الدول . وكان يقدم الأطعمة الشرقية مرة فى الأسبوع فاستحق إطراء مندوبى دول الشرق الأوسط ، من مصريين ولبنانيين وسوريين وعراقيين وإيرانيين ، ممن كانوا يترددون كل ليلة على مطعم « عمر الخيام » .

وكان مرديكيان ، قبل الحرب العالمية الأخيرة ، مشهوراً محلياً (فى

سان فرانسسكو) ولكنه اشتهر دولياً فى ذلك المؤتمر .

وقد أنفق على تعليم أربعة من طلاب الشرق الأوسط ، فكلفه كل منهم ١٥٠٠ دولار سنويا ، لمدة أربعة أعوام . لكنه اشترط أن يعود كل منهم إلى وطنه ليعلم مواطنيه ما تعلم ، فإذا آثر أحدهم البقاء فى الولايات المتحدة وجب عليه أن يرد إليه ما أنفقه على تعليمه ، أى ستة آلاف دولار !

واستقدم مرديكيان ، بوصفه مدير مؤسسة « أنشا » الخيرية ، ٤١٠٠ شخص ممن شردتهم الحرب ، إلى أمريكا الجنوبية والولايات المتحدة . وقد استقرت حياتهم جميعاً وزاولوا أعمالا نافعة .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية ارتفع شأن مرديكيان ، وأصبح يعد بطلا قوميا ، فقد قام بحملة لترغيب الأمريكيين فى أكل لحم الضأن ، فى وقت كان فيه جانب كبير من لحم البقر يصدر إلى ما وراء البحار ، ونشر فى إحدى المجلات مقالا بعنوان « كان لعمر خروف صغير » ضمنه قائمة بالأطعمة الشهية التى تستطيع ربة البيت أن تصنعها من لحم الضأن ، كالكباب ، والكفتة ، والطورلى وغير ذلك .

وفى خلال الحرب الكورية سافر مرديكيان مع مطابخ الميدان إلى الخطوط الأمامية ، واستمع إلى شكوى الجنود من طعام الجيش . وكان للتقرير الذى بعث به إلى القائد العام وقتئذ ، الجنرال « ماتيو ريدجواى » ،

أثر كبير فى تحسين وجبات الطعام التى تقدم إلى الجنود .

ومنذ ذلك الوقت أصبح مرديكيان المستشار الدائم فى شئون الأغذية لقيادة الجيش الأمريكى . وأرسلت إليه وزارة الحربية عدة رسائل شكر لما قام به من أعمال كخبير فى المواد الغذائية ، كما تلقى رسائل شكر من الرئيسين ترومان وأيزنهاور لمعاونته فى حفظ الأغذية وتحسينها .

وقد مُنح مرديكيان وسام الحرية . وهو زعيم شرف هندى لقبيلة « كيوا » الهندية ، واسمه فى القبيلة « تانى آه إيت أتى » أى الزعيم ذو القلب الكبير .

وهو عضو فى الكشافة منذ أربعين عاماً ، وأحد أعضاء « مجلس إدارة الحركة الكشفية الأمريكية ، وحائز لأرقى وسام كشفى فى العالم ، وهو وسام « النمس الفضى » .

وهو ، علاوة على ما تقدم ، عضو فى جمعية أوبرا سان فرانسسكو ، وجمعية إنقاذ الطفولة ، والكنيسة الأرمنية ، ونادى كتاب كاليفورنيا ، ونادى سان فرانسسكو الأولمبى ، وجمعية كاليفورنيا التاريخية ، ونادى الصحافة بسان فرانسسكو .

وقد اقترن مرديكيان فى أول يونيه عام ١٩٣١ بنازنيج روسفانيان .

وكان من أهداف هذا الرجل إظهار الأمريكيين على الدور الذى لعبه المهاجرون من الشرق الأوسط فى بناء أمريكا . ومن أعز آماله أن تتوثق أواصر التفاهم التام بين شعوب الشرق الأوسط ووطنه الثانى أمريكا .

إن فى حياة جورج مرديكيان درساً وعظة . . .

المَكارثيّة

كانت ولاية « ويسكونسين » ، وما برحت ، فوّارة بألوان الشذوذ السياسى ، فقد كانت إحدى مدنها الكبرى ، وهى « ملووكى » حيث تُصنع أفخر أنواع الجعة ، المدينة الأمريكية الوحيدة التى استطاع الاشتراكيون أن يتولوا شئونها فى عام ١٩١٠ ، ولكن حكمهم انهار بعد عامين .

ثم ظهرت فى تلك الولاية شخصية عجيبة حقا ، كان لها أثر قوى فى الحياة الأمريكية ، وكان صاحب تلك الشخصية رجلا اسمه « روبرت لافوليت » ، وجد المعقبون السياسيون كثيراً من أوجه الشبه بينه وبين لنكولن .

كان « لافوليت » من أصل فرنسى ، كما يدل اسمه . ولكن لم يبق فيه شىء يدل على أصله إلا الاسم . ولقد اتسعت شهرته بالحملات الشعواء التى كان يشنها على الشركات الرأسمالية ، وخاصة شركات السكك الحديدية . ولاشك فى أن تلك الحملات أصبحت جزءاً من التاريخ الأمريكى العام .

لقد خلّف الرئيس الأسبق « ثيودور روزفلت » وسبق القطب السياسى « هنرى والاس » فى إنشاء حزب تقدمى ، استطاع فى انتخابات الرياسة

التى جرت فى عام ١٩٢٤ أن يحصل على خمسة ملايين من الأصوات . وقد عارض بشدة تدخل الولايات المتحدة ، خلال عام ١٩١٧ ، فى الحرب العالمية الأولى .

وطوى الموت « لافوليت » فى عام ١٩٢٥ ، بعد أن أوصى بأن يمنح مقعده فى مجلس الشيوخ لأحد أبنائه . وقد شغل هذا الابن المقعد أعواماً طويلة ، ولكن أقصاه عنه فى عام ١٩٤٦ شاب رياضى مفتول العضلات ، ظهر فى معترك السياسة بفضل بعض الخدمات التى أداها أثناء عمله مع الفدائيين البحريين الأمريكيين فى المحيط الهادى إبان الحرب العالمية الثانية ، وبفضل ما يمتاز به من قدرة عجيبة حقا على الكفاح والنضال . ذلك الشاب الرياضى هو « جوزيف مكارثى » .

وبعد خمسة أعوام أصبح اسم « مكارثى » على ألسنة الملايين من الأمريكيين ، وأضحت « المكارثية » من الكلمات التى تسمعها فى كل مكان بالولايات المتحدة ، وفى كثير من بلاد العالم .

ومعنى « المكارثية » عند الرئيس الأمريكى السابق هارى ترومان : « افتئات على الحق ، وبُعد عن العدالة والنزاهة ، واعتماد على الكذب فى كل شىء ، وتوجيه التهم الباطلة بحجة المحافظة على الأمن وعلى التقاليد الأمريكية ، وسرطان رهيب يلتهم الحيوية الأمريكية » .

وشبه أحد المعقبين « المكارثية » بحيوان شرس ، نسى صاحبه أن يلجمه

فى مطعم « عمر الخيام » . . . جورج ماريديكيان يحيي الملك فيصل وحاشيته

٢٥٠٠ شخص يتناولون الطعام دفعة واحدة . . . إن ماردیکیان هو منظم المأدبة

جورج ماردیکیان مع المؤلف فی إحدی ضواحی سان فرانسسکو

منظر لسان فرانسسكو . . من قمة ناطحات السحاب

ويكمه فى الوقت المناسب ، فكبر وازداد ضخامة ، وقويت عضلاته واتسع فمه ، ونمت أنيابه نموا خطيراً ، ودفعته شراسته ووحشيته إلى أن ينطلق فى الطريق يعض من يشاء ، بعد أن يكون قد اعتدى على صاحبه الذى آواه ورباه وأطعمه ، ولكنه لم يعرف كيف يروضه ليكون أليفاً .

ولكن أصبح لـ « مكارثى » ، على الرغم من هذا كله ، ملايين من الأنصار المتحمسين له فى شتى أنحاء الولايات المتحدة .

و « مكارثى » ، كما حدثنى عنه بعض المتصلين به الذين استطاعوا أن يسبروا غور نفسه ، رجل لا يلين ، فى وجهه سمات الخشونة ، وينطلق الكلام من فمه كأنه قنابل وصواريخ ، أو رصاص مدفع رشاش .

ويبدو لمن يرى هذا الرجل يخطب أو يناقش ، أو ينهال بالتهم على بعض الناس ، أنه مقدام شجاع . بيد أن بعض خصومه يقولون إنهم يشكون فى أن يكون مقداماً ، فقد التحق ، إثر الاعتداء اليابانى على « بيرل هاربر » كضابط استعلامات لإحدى تشكيلات قاذفات القنابل ، واشتهر بأنه ، كلما جلس فى مكان المدفعى فى إحدى قاذفات القنابل ، كان يطلق النيران على أى هدف ، حتى على الأشجار البريئة التى يقع عليها بصره .

* * *

قست الحياة على « جوزيف ريموند مكارثى » منذ طفولته التى لم

يعرف فيها إلا البؤس والشقاء مع إخوته الستة . وحاول ، حين ناهز السادسة عشرة ، أن ينشىء مزرعة صغيرة للطيور الدواجن ، ولكن محاولته ذهبت هباء منثوراً . فعمل فى متجر للبقالة ، واستطاع ، فى الوقت نفسه ، أن يشق طريقه فى مضمار التعليم حتى وصل إلى الجامعة حيث ظفر بإجازة فى القانون . وكان أيام الدراسة فى الجامعة يتنقل من عمل إلى آخر . وقد برع فى الطهى لكثرة عمله فى المطاعم . والتحق ، فترة من الزمن ، بإحدى شركات دفن الموتى .

واستطاع هذا الرجل ، بدهائه السياسى ، أن يغزو حلبة القضاء فى غضون عام ١٩٤١ . ثم عاد إلى القضاء بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . وفى عام ١٩٤٦ أصبح عضواً فى مجلس الشيوخ ، كما قدمنا .

وقضى « مكارثى » فى مجلس الشيوخ العامين الأولين دون أن يقوم بحركة ما . ثم حدث فجأة أن ذاعت شهرته ، ليس فى الولايات المتحدة فحسب ، بل فى سائر أنحاء العالم أيضاً . فقد ألقى خطاباً قال فيه « تحت يدى الآن أسماء مائتين وخمسة من موظفى وزارة الخارجية الذين يعرف الوزير أنهم أعضاء فى الحزب الشيوعى . ومع ذلك تفسح لهم الوزارة المجال لتحديد السياسة الأمريكية وتنفيذها » .

عندئذ ثارت ثائرة الرأى العام الأمريكى ، وأصرت الصحف على

معرفة تلك الأسماء . لكن « مكارثى » أعلن أنه يحتفظ بقنبلته ليفجرها فى مجلس الشيوخ .

وظل الشعب الأمريكى قلقاً ، ثائراً ، متألماً ، نحو عشرة أيام .

ثم انعقد مجلس الشيوخ ، وألقى مكارثى خطبة نارية ذكر فيها ٨١خائناً من بينهم اثنان من كبار موظفى وزارة الخارجية هما «الجير هيس» و « أوين لاتيمور » .

وانبرى له الشيخ الديمقراطى الواسع النفوذ « تايدنجز » مؤكداً أن الاتهامات التى كالها لوزارة الخارجية لا ظل لها من الحقيقة على الإطلاق ، وأنها هراء فى هراء .

ولكن « مكارثى » لم يقم أى وزن لنفوذ « تايدنجز » . بل ألقى خطبة نارية أخرى قال فيها إن هذا الشيخ الديمقراطى إنما ينفذ الأوامر والتعليمات التى يتلقاها من أساتذته وسادته الشيوعيين .

واعتقد كثير من الأمريكيين آنئذ أن « مكارثى » باء بهزيمة منكرة ، وأن نفوذ « تايدنجز » ازداد قوة .

واستمرت المعركة بين الرجلين . ثم جرت انتخابات عام ١٩٥٠ ، فكانت النتيجة أن فقد « تايدنجز » مقعده فى مجلس الشيوخ ، على الرغم من قوته السياسية وسعة نفوذه فى ولاية « ميريلاند » . وكان الفائز بالمقعد رجلا أضعف منه بمراحل . وهكذا أثبت « مكارثى » قوته ،

وبرهن بأقطع الأدلة على أنه خُلق ليكون مناضلا سياسيا قل أن يكون له ضريب فى جلَده وحيويته وطاقته الهجومية .

والواقع أنه ليس كل ما يكيله « مكارثى » من تهم عار من الصحة كما يؤيد خصومه ، وإن كان من المحقق أن « المكارثية » تنطوى على شىء غير قليل من المبالغة ، والتمويه ، والتأويل المغرض .

مثال ذلك أن القائد الأمريكى الكبير السابق الجنرال « جورج مارشال » ارتكب أخطاء عديدة فى الصين حين كان الماشال « تشيانج كاى تشيك » حاكماً بأمره ، أى قبل انقلاب النظام فى تلك البلاد رأساً على عقب ، وتولى الشيوعيين أزمة الأمور فيها . ولكن حين أصدر « مكارثى » كتيباً اتهم فيه « مارشال » بالخيانة ، ساد الوجوم والألم والأسى مجلس الشيوخ ، واستبد الغضب بالرأى العام الأمريكى ، وتقدم « وليم بنتون » ، العضو الديمقراطى فى مجلس الشيوخ ، بمشروع قرار يقضى بإقصاء « مكارثى » عن المجلس . وكان خصومه ينتظرون فى لهفة الانتخابات التى جرت فى عام ١٩٥٢ ليتخلصوا منه . ولم يدخروا وسعاً فى سبيل منعه من الفوز فى تلك الانتخابات .

ولكن عبثاً حاول خصومه النيل منه ، فقد انتصر على خصمه الجمهورى « ليونارد شميت » على الرغم من التجاء الثانى إلى كل وسائل الدعاية ، بما فيها التلفزيون .

وبعد أن وطد « مكارثى » مركزه فى ولايته ، شخص إلى ولاية « كونكتيكت » لمحاربة خصمه وغريمه « وليم بنتون » الذى زعم أن مقدوره إخراجه من مجلس الشيوخ . وكان من أثر الجهد الذى بذله « مكارثى » أن فقد « بنتون » مقعده فى مجلس الشيوخ !

وهكذا سجّل « مكارثى » لنفسه نصراً جديداً كان حديث الناس ، ومثار إعجاب الكثيرين فى كل مكان .

والآن نرى لزاماً علينا أن نلقى مزيداً من الضوء على « المكارثية » وعلى تأييد قسم لا يستهان به من الرأى العام الأمريكى لها .

إن الشيوعية التى تكافحها السلطات المختصة فى أمريكا ليست شيوعية الجماهير كما هى الحال فى أوربا ، وإنما هى شيوعية التسلل ، إن صح لنا هذا التعبير . وحين انهارت السوق المالية فى تلك البلاد خلال عام ١٩٢٩ كان عمر الحزب الشيوعى الأمريكى نحو عشرة أعوام . وقد قال « بنجامين جيتلو » ، الذى رشحه الحزب مرتين فى انتخابات الرياسة لتولى منصب نائب الرئيس ، إن الحزب لم يكن يضم خلال تلك الفترة أكثر من ستة عشر ألف عضو .

بيد أننى اطلعت على أرقام تدل على أنه كان للحزب أنصار يعدون بالآلاف . ففى انتخابات الرياسة التى جرت فى عام ١٩٢٤ حصل مرشح الشيوعيين على ٣٣ ألفاً و ٣١٦ صوتاً . وفى انتخابات

عام ١٩٢٨ قفز ذلك الرقم إلى ٤٨ ألفاً و ٧٧٠ صوتاً مقابل ٢١ مليون صوت ظفر بها الحزب الجمهورى . وقد بلغت القوة الانتخابية للحزب ذروتها فى عام ١٩٣٢ ، إذ حصل « وليم فوستر » مرشح الشيوعيين للرياسة على ١٠٢,٩٩١ صوتاً .

وحين أيد الحزب الشيوعى « إيرول برودر » ، الذى رشح نفسه للرياسة فى انتخابات عام ١٩٣٦ ، هبط الرقم إلى ٨٠ ألفاً و ١٥٩ صوتاً . وقد رشح « برودر » نفسه مرة أخرى فى عام ١٩٤٠ فلم يكن نصيبه إلا ٤٦ ألفاً و ٢٥١ صوتاً . ولم يرشح الشيوعيون أحداً فى انتخابات عام ١٩٤٤ . وفى عام ١٩٤٨ أيدوا « هنرى والاس » . الذى رشح نفسه للرياسة بوصفه زعيم الحزب التقدمى . ولكنه لم ينجح .

وقد تبين لى أثناء إقامتى فى تلك البلاد أن الشيوعيين يخطئون كل الخطأ إذا اعتقدوا أن فى وسعهم إحداث انقلاب أو ثورة هناك ، لأن الأوضاع والأحوال التى تولد الثورات لا وجود لها فى الولايات المتحدة . فالزائر الذى يدرس الحالة الاجتماعية هناك لا يجد أثراً لاستياء عام أو جنوحاً إلى التمرد ، أو نشاطاً هداماً يذكر . ومرد ذلك إلى أن العدالة الاجتماعية تشمل الجميع .

ولكن من المحقق أن العدالة الاجتماعية لن تمنع العناصر الشيوعية الخطرة من محاولة القيام بسلسلة من أعمال التخريب ، إذا اشتبكت الولايات المتحدة فى حرب مع الاتحاد السوفييتى ، وإن كان من المحقق

أيضاً أن تلك المحاولة لن تكون سهلة يسيرة لأن مكتب المباحث الجنائية يقف للشيوعيين بالمرصاد ، ويضطلع بالمهام الضخمة الموكولة إليه على أتم وجه مستطاع منذ سنوات عدة .

و « مكارثى » لا يحارب الشيوعيين أنفسهم ، وإنما يحاول ، ما وسعته المحاولة ، أن يطهر الأداة الحكومية من العناصر التى كانت لها صلة بالحزب الشيوعى الأمريكى ، بعد أن اتضح أن الشيوعيين استطاعوا ، بتسللهم ، أن يسرقوا كثيراً من الأسرار العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية والذرية .

ولقد وُفق « مكارثى » فى محاولته هذه توفيقاً أحرج الرئيس أيزنهاور نفسه ، وأوشك أن يؤدى إلى استقالة « ستيفنز » وزير الحربية . وفى هذا قالت صحيفة « التيمس » اللندنية : « لقد حقق مكارثى ما عجز عن تحقيقه الجنرال برجوين والجنرال كورنواليس . . . وهو حمل الجيش الأمريكى على الاستسلام » .

فكيف بدأ هذا الصراع ، وما الذى رمى إليه « مكارثى » ؟

شرع « مكارثى » خلال عام ١٩٥٣ فى محاولته الكشف عن بعض العناصر الهدامة فى معسكر « فورت مونموث » بولاية « نيوجرسى » ، وأمكنه أن يثبت أن الشيوعيين استطاعوا أن يتسللوا إلى ذلك المعسكر فى غضون الحرب العالمية الثانية . ولكن الأدلة والبراهين التى ساقها لم تكن قوية مقنعة . ومن ثم لم تقم الصف كبير وزن لها . وكان من أثر ذلك أن فترت همته ، وأوشك أن يهمل الموضوع .

ثم حدث أن جندت السلطات العسكرية عضواً بارزاً فى هيئة أركان حرب « مكارثى » ، هو «جيرارد ديفيدشاين» . و «شاين» هذا شاب فى نحو السادسة والعشرين من عمره يستطيع أن ينفق عن سعة ، لأن أباه يملك عدداً من المطاعم فى مدن الساحل الغربى .

فكان طبيعيا أن يحاول « شاين » التخلص من الجندية التى تفرض عليه قيوداً قاسية لم يألفها ، وتمنعه من ألوان اللهو الذى تتيحه له ثروته الضخمة ، وتحول دون مواصلته العمل مع « مكارثى » طلباً للشهرة وذيوع الصيت .

ولم يعر « مكارثى » هذا الموضوع اهتماماً يذكر فى بداية الأمر ، ولكن معاونه الأول وساعده الأيمن « روى كوهن » ثار على قرار التجنيد لاعتماده على « شاين » فيما يقوم به من تحريات فى الدوائر العسكرية . واضطر « مكارثى » إلى احترام رأى « كوهن » لأنه يعده أذكى وألمع شاب صادفه فى حياته .

ولم يلبث الأمر أن تطور تطوراً خطيراً استطعتُ أن أتتبعه عن كثب أثناء وجودى فى واشنطن ونيويورك . علم « مكارثى » من عيونه وبعض الموالين المخلصين له من العسكريين أن قواد الجيش يستنكرون تدخله شخصيا لإسناد منصب محترم إلى « شاين » فى نيويورك مثلا . وعندئذ ثارت ثائرته وسجل على شريط كهربائى جميع الأحاديث التى

مکارثی

دارت بينه وبين العسكريين .

ثم استدعى « مكارثى » ضابطاً كبيراً فى الجيش للتحقيق معه فى بعض الأمور . ويبدو أن إجابة الضابط كانت غامضة ملتوية ، فما كان من « مكارثى » إلا أن قال إنه ليس أهلا للجندية .

وحصل « ستيفنز » ، وزير الحربية ، على تقرير مفصل من ذلك الضابط عن التحقيق الذى أجراه معه « مكارثى » . ولم يكد يفرغ من الاطلاع على التقرير حتى استشاط غضباً ، وأمر الضابط بعدم المثول مرة أخرى أمام « مكارثى » ، وقال إنه سيحضر التحقيق بدلا منه .

وقبل « مكارثى » هذا التحدى فوراً ، وانتصر فيه بسرعة لأن « ستيفنز » لم يستطع حماية ضباط الجيش من أسئلة لجنة التحقيق البرلمانية التى يرأسها « مكارثى » .

وفى مستهل شهر ديسمبر عام ١٩٥٣ ، اتهم « مكارثى » البيت الأبيض بأنه لا يزال ، على الرغم من حلول أيزنهاور محل ترومان فى رياسة الولايات المتحدة ، يثير الشكوك فى أعمال الحكومة وتصرفاتها . وقال إنه سيثير مسائل الشيوعية فى المعارك الانتخابية المقبلة .

وقد آثر أيزنهاور ، وقتئذ ، أن يتجاهل « مكارثى » ويتناسى حملاته الشعواء ، الفوارة بالقذف والاتهامات ، على الجنرال جورج مارشال وترومان .

بيد أن قسما كبيراً من الرأى العام الأمريكى اهتم أيما اهتمام باستمرار « مكارثى » فى النبش فى الملفات والأضابير ، والبحث فى كل مكان عن العناصر ذوات الميول الشيوعية التى لاتزال تنفث سمومها فى إدارات الحكومة ومصالحها .

وكان أقوى دليل على اهتمام الرأى العام أن بعض محطات الإذاعة والتلفزيون قبلت أن تضع موجاتها الأثيرية رهن تصرف « مكارثى » . وهذا أمر له أهميته ومغزاه ما فى ذلك ريب .

وإذا كان أنصار « ترومان » من الديمقراطيين يحقدون على « المكارثية » أشد الحقد ، ويستنكرون حملات « مكارثى » كل الاستنكار ، فإن كثيرين من الديمقراطيين الأحرار يرحبون كل الترحيب بمسلك هذا السناتور لأنه يقول ما لا يجدون الشجاعة الكافية على الجهر به .

ثم أخذ الصراع بين أيزنهاور ومكارثى يزداد شدة وعنفاً يوماً فى إثر يوم . وقد اتضح لى ، خلال اتصالاتى بالدوائر السياسية فى واشنطن ونيويورك وبعض عواصم الولايات الأمريكية الأخرى ، أن ثمة شواهد على أن مكارثى يبدى هذا النشاط الجم فى تعقب المتطرفين والشيوعيين ، ولايكف عن مهاجمة الإدارات الحكومية ، توطئة لترشيح نفسه للرياسة عن الجمهوريين فى الانتخابات التى ستجرى خلال عام ١٩٥٦ .

وقد لمست بنفسى أثر الذعر الذى يبذره « مكارثى » فى بعض الإدارات الحكومية خلال الأيام العشرة التى قضيتها فى العاصمة الأمريكية

فى شهر يناير عام ١٩٥٤ . وقال لى موظف كبير فى وزارة الخارجية الأمريكية إن كثيرين من الموظفين الأبرياء الأكفاء يخشون على مستقبلهم ومصيرهم من جرّاء التحقيقات المربكة التى يُجريها هذا السناتور — والحملات الشعواء التى يشنها فى جرأة قلّ أن يكون لها نظير .

ويلوح أن الرئيس أيزنهاور بدأ وقتئذ يشعر بخطر « المكارثية » يدنو من البيت الأبيض بسرعة مزعجة . ومن ثَم عقد فى مستهل شهر مارس عام ١٩٥٤ مؤتمراً صحفيا أشار فيه إلى حملات « مكارثى » دون أن يذكر اسمه ، إذ قال إن التعاون الحقيقى بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ممكن فى جو من الاحترام المتبادل .

وقد احتلت « المكارثية » مكان الصدارة بين تعقيبات الصحف الأمريكية على بيان أيزنهاور ، وذكرت إحدى المجلات الأسبوعية الواسعة الانتشار والنفوذ أنه يمكن الاستغناء عن « مكارثى » سياسيا ، ويبدو أن الوقت المناسب لهذا الاستغناء قد حان ، وأن الرئيس أيزنهاور هو وحده الذى يستطيع أن يقصيه عن المنصب الذى يجعل اسمه يبرز فى الصحف بحروف كبيرة ، ويتيح له الفرصة لشن حملاته التى تسىء إلى سمعة الولايات المتحدة بين حليفاتها وفى سائر بلاد العالم .

وحدث بعدئذ أن تدخل الرئيس أيزنهاور فى الصراع ، فأمر كبار موظفى الحكومة بالامتناع عن إطلاع لجنة التحقيق البرلمانية ، التى كان

« مكارثى » برأسها ، على الوثائق السرية الخاصة بالجيش .

وفى مستهل شهر ديسمبر عام ١٩٥٤ ، قرر مجلس الشيوخ بأكثرية ٦٧ صوتاً مقابل ٢٢ توجيه لوم علنى إلى « مكارثى » . فما كان منه إلا أنه شرع يقوم بدور « الفارس الشهيد » ، إذ قال إن القرار الذى اتخذه المجلس بلومه لا يعدو كونه « عملا أحمق » ، وإنه سيواصل مطاردته للشيوعيين عندما تهدأ هذه الزوبعة . ثم قال ساخراً « لست أعتقد أن فى الإمكان تضليل الشعب الأمريكى . ويعلم الناس أن اللوم لم يوجه إلىّ إلا لأننى فضحت أمر الشيوعيين الموجودين بين موظفى الحكومة . »

ومهما يكن من أمر فإن هذا اللوم العلنى الذى وجهه مجلس الشيوخ إلى « مكارثى » يمكن أن يعد نقطة تحول فى حياته السياسية ، وقد يكون له أثر قوى بعيد المدى فى مستقبله بوجه عام .

عَظَمَة الصّناعة

حين زرت مدينة « ديترويت » عاصمة ولاية « متشيجان » دفعتنى هوايتى القديمة للسيارات إلى أن أفكر بادئ ذى بدء فى زيارة مصانع فورد .

كنت أعرف الشىء الكثير عن تلك المصانع ، فقد قرأت عنها طويلا فى مجلات السيارات التى كنت مشتركاً فيها ، كما قرأت كل ماوقع فى يدى من كتب عن « هنرى فورد » ، وعن العوامل التى كفلت له النجاح العظيم . ولكنى لم أكن أتصور أن تكون المصانع بهذه الضخامة ، وأن يصل العمل فيها إلى هذا الحد من التشعب ، وإلى هذه الدرجة من الدقة والإتقان مع السرعة المذهلة حقا .

رأيت كيف يتم تركيب أجزاء السيارة فى نحو دقيقة ، وشاهدت الأفران والمصاهر الضخمة ، والورش التى تصنع فيها « الرفارف » والعجلات والهياكل والمحركات . ثم شاهدت هذه الأجزاء جميعاً تنقل على «عجل» إلى « خط التجميع » فى دقة تثير الإعجاب .

رأيت هذا كله ، ثم قلت لنفسى دون تفكير : كيف أستطيع الاعتماد على سيارة يتم تركيب أجزائها فى دقيقة واحدة ، مع أنه كلما أصيبت

سيارتى بعطب استغرق إصلاحه ما لا يقل عن ساعتين إذا كان العطب طفيفاً ؟ وكيف أدفع ألفاً وبضع مئات من الجنيهات ثمناً لسيارة تخرج من المصانع بهذه السرعة ؟

ثم فكرت وتذكرت . . .

تذكرت أن تصميم السيارة فى مصانع فورد يستغرق عدة أعوام . إنه يبدأ ببطء شديد حين يشرع المهندس فى التفكير ، وحين يحرك الرسام قلمه فوق ورقة بيضاء .

وشيئاً فشيئاً تتبلور الفكرة فى ذهن المهندس ، ويتحرك قلم الرسام بمزيد من الدقة . ثم تتحول الفكرة ومعها الصورة إلى نموذج صغير من الصلصال ، وإلى تصميم على الورق .

ويجتمع المهندسون ومصممو الهياكل والخبراء لتبادل الرأى . وفى الوقت نفسه يجتمع الخبراء الماليون لتقدير تكاليف صنع السيارة الجديدة . فإذا اتفق الجميع صنعت السيارة الأولى من الطراز الجديد .

ولكن قبل أن تشرع المصانع فى إخراج هذا الطراز بمعدل سيارة فى كل دقيقة ، تختبر السيارة الأولى بدقة وعناية .

إنهم يضعونها فى ثلاجة لمعرفة مدى مقاومتها للصقيع والجليد . ويطلقون عليها أعاصير صناعية ، ويغرقونها فى بركة ، ويسيرون بها آلاف الأميال على شتى أنواع الطرق ، ويطلقون لمحركها العنان فينهب بها الأرض نهباً .

الولايات المتحدة الأمريكية

إنهم يُجرون تلك التجارب القاسية لحرصهم على التأكد من متانة السيارة . . متانة هيكلها وعجلاتها ، وقوة احتمالها ، وقدرة محركها على الانطلاق بسرعة ، وعلى تسلق الجبال .

إن مديرى مصانع فورد لا يأذنون بالشروع فى صنع أى طراز جديد على نطاق واسع إلا بعد أن يمر بهذه المراحل جميعاً ، لأنهم يعرفون أن عملاءهم يضعون فى الشركة ثقتهم التامة ، وأن هواة السيارات لا يرحمون . . .

فهم يريدون محركاً يستجيب لرغباتهم ونزواتهم ، ومن ثم يصرون على أن يكون قويا متيناً . وهم يريدون أن تكون المقاعد وثيرة ، وأن تكون السيارة مريحة ، لا تؤثر فى سيرها وعورة الطرق . وهم يريدون أن يدور المحرك صيفاً وشتاء دون أن يؤثر فيه قيظ الصيف أو زمهرير الشتاء ، وأن يكون « بخيلا » بقدر المستطاع فى استهلاك البنزين .

إن مديرى مصانع فورد يقيمون كبير وزن لهذا كله ، وهذا هو سر نجاح فورد .

ويطيب لى هنا أن أحدثك عن غرفة « الأحلام » فى تلك المصانع . . . فى هذه الغرفة أو القاعة يطلق الرسامون والمصممون لأحلامهم العنان . ومهمتهم تنحصر فى رسم الأفكار التى تتراءى لهم . . . إن صورة فى مجلة تمثل سمكة فى البحر الأحمر قد توحى للرسام بفكرة لتصميم « رفرف » من طراز جديد ، أو صورة أخرى لطراز جديد من الطائرات النفاثة قد توحى

إليه بشكل جديد لمقدم السيارة أو غطاء المحرك .

ولعلك تريد منى الآن بعض الأرقام التى تدل أبلغ الدلالة على ضخامة الإنتاج فى مصانع فورد .

إن تلك المصانع التى جعلتنى زيارتها أومن بالتصنيع والصناعة تنتج مليوناً وسبعمائة ألف سيارة من مختلف الأشكال والأحجام فى كل عام ، وتستخدم نحو مائة وخمسين ألف عامل موزعين على ثمانية وأربعين مصنعاً فى ثلاثة وعشرين بلداً . وفى مصنع « ريفر روج » فى « ديربورن » بولاية « متشيجان » ستون ألف عامل . ويبلغ مجموع الأجور اليومية مليون دولار . والمصنع مشيد على أرض مساحتها ١٢١٢ فداناً .

فإذا علمت بعد هذا كله أن « هنرى فورد » بدأ مشروعه برأسمال قدره ٢٨ ألف دولار فقط ، أيقنت أنه كان رجلا عبقريا توافرت له مقومات النجاح ، وإلا لما استطاع أن يستثمر ذلك المبلغ المتواضع وينشىء مصانع فى بافالو (نيويورك) وكيفلاند وسنسناتى وكنتون (أوهايو) ، وفى متشيجان ، وأن ينشىء مصانع للتجميع فى عدد من المدن .

لقد أفدت من زيارتى تلك المصانع فائدة كبيرة . وأرجو لكل من تتاح له فرصة لزيارة الولايات المتحدة أن يقضى بضع ساعات فى تلك المصانع حتى يدرك عظمة الصناعة .

صَاحِبَة الجَلَالَة الصَّحَافة

الصحافة فى الولايات المتحدة صاحبة جلالة حقًا ، وسلطة رابعة ما فى ذلك شك . والصحف التى تصدر باللغة الإنجليزية توزع فى اليوم الواحد أكثر من اثنين وخمسين مليون نسخة ، وأوسعها انتشاراً صحيفة « نيويورك ديلى نيوز » التى توزع أكثر من مليونى نسخة يوميا خلال الأسبوع وأكثر من أربعة ملايين نسخة فى يوم الأحد . وتليها صحيفة « شيكاجو تريبون » إذ توزع يومياً نحو مليون نسخة ، ويقفز هذا الرقم إلى مليون وخمسمائة ألف نسخة فى يوم الأحد .

وأهم ما يشغل بال أصحاب الصحف الأمريكية ورؤساء تحريرها فى الوقت الحاضر هو الوقوف فى وجه التلفزيون الذى أصبح خطراً عليها ، إذ اتضح أن عدد الذين يجلسون يوميا أمام أجهزة التلفزيون لايقل عن عشرين مليوناً ، وأن كثيرين منهم أصبحوا أشد ميلا إلى الوقوف على الأحداث عن طريق مرآة التلفزيون .

وهناك اتجاهان أو رأيان فى الوسائل الكفيلة بدفع خطر التلفزيون عن الصحافة . فأصحاب عدد من الصحف الكبرى التى تنفر من التهريج وترفض الاعتماد عليه فى زيادة التوزيع ، يأملون فى النهوض بأذواق القراء

ومستواهم بنشر أكبر عدد ممكن من الأنباء الصحفية الدقيقة ، والتوجيهات والإرشادات القائمة على الصدق والإخلاص ، والتعقيبات والتعليقات التى تعين القراء على فهم كثير من المسائل الملتوية المعقدة . وثمة آخرون من أصحاب الصحف لا يهمهم إلا أن يزيدوا توزيع صحفهم على أوسع نطاق ممكن ، ويحصلوا على فيض من الإعلانات . ولو كان فى ذلك تضحية بذوق القارئ .

الواقع أن الصحف الأمريكية استطاعت أن تواجه خطراً مماثلا منذ أعوام حين شاع استخدام أجهزة الراديو فى جميع أنحاء الولايات المتحدة. وكانت وسيلة أصحاب الصحف إلى ذلك شراء عدد كبير من محطات الإذاعة .

ولاشك أن المعركة أو المنافسة بين الصحف والتلفزيون ستكون شديدة عنيفة حامية ، ولا سيما إذا علمت أن نحو عشر صحف رأت لزاماً عليها أن تتوقف عن الصدور خلال الأعوام الأخيرة .

فلمن تكون الغلبة ؟

سؤال لا نستطيع الإجابة عليه اليوم ، وإن كنا نلاحظ أن الصحافة الأمريكية ، بوجه عام ، لم تبد حتى الآن قلقاً شديداً ، بل بالعكس ، بدأت تخطو خطوات تدعو إلى الاعتقاد أنها قد تتغلب على التلفزيون مثلما تغلبت على الراديو .

وليس للحكومة أى سلطان على الصحف فى أمريكا ، وما عليها — الصحف — إلا أن تحترم قوانين الصحافة النافذة . ويقول الدستور الأمريكى « لا يصدر الكونجرس قانوناً يتعلق بنشأة دين من الأديان ، أو يمنع حرية ممارسته ، أو يحد من حرية الخطابة أو الصحافة ، أو يحد من حرية الناس فى عقد اجتماعات سلمية ، وفى مطالبة الحكومة بالنصفة من الإجحاف ». والصحف نفسها لا تكف عن تأكيد تحررها من سلطة الحكومة .

والصحافة الحزبية لا وجود لها تقريباً فى الولايات المتحدة ، لأن الصحف يملكها أفراد وليست ملكاً لأحزاب سياسية .

وفى أمريكا الآن — طبقاً لآخر إحصاء وقفت عليه — نحو ألفى صحيفة يومية ، وأكثر من تسعة ملايين صحيفة أو مجلة أسبوعية .

والصحف الأمريكية الكبرى تعنى عناية كبيرة بأنباء العالم ، وبالاتجاهات والتيارات السياسية الدولية . وهى تتلقى يوميا فيضاً من الأنباء والتعليقات والتحقيقات الصحفية من شتى أنحاء العالم بواسطة وكالات الأنباء ، وأهمها « اليونايتد بريس » و « الأسوسييتد بريس » و « الأنتر ناشيونال نيوز سيرفيس » . ومراسلو صحيفة نيويورك تيمس وغيرها من الصحف الكبرى يوافون صحفهم يوميا بكل تفاصيل الأحداث الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والمؤتمرات .

وأكبر دليل على مدى اهتمام صحيفتى نيويورك تيمس ونيويورك هيرالد

تربيون بمشاكل العالم ، والمشاكل الأوربية بوجه خاص ، أن كلا منهما تصدر طبعة دولية تطبع فى باريس ، وترسل موادها مضغوطة على «الكرتون» من نيويورك بطريق الجو . وصحيفة كرستيان ساينس مونيتور متخصصة فى نشر التحقيقات الصحفية الدولية . وهناك نحو تسعين صحيفة تتلقى من صحيفة شيكاجو ديلى نيوز تحقيقات صحفية يوافيها بها مراسلوها من الخارج.

يمكن أن يقال إذن إن الصحف الأمريكية الكبرى اضطلعت بدور هام فى إخراج الولايات المتحدة من عزلتها ، وفى إثارة اهتمام الشعب الأمريكى بشئون العالم .

بيد أن هذا الكلام لا ينطبق على بعض الصحف الإقليمية الكبرى. فحين كنت فى سان فرانسسكو حاولت عبثاً الوقوف على نبأ دولى واحد يمكننى من كتابة مقالى اليومى الذى كنت أرسله إلى « الأهرام » بالبرق . ومن ثم رأيت لزاماً علىّ أن أتصفح جرائد سان فرانسسكو بسرعة ثم أقرأ بدقة النيويورك تيمس والنيويورك هيرالد تربيون والكريستيان ساينس مونيتور أو الشيكاجو ديلى نيوز .

ومن طريف ما حدث لى فى تلك المدينة الجميلة أن « مارجورى ترامبل » المعقبة فى محطة تلفزيون صحيفة سان فرانسسكو كرونيكل دعتنى للظهور معها على التلفزيون . وبعد أن سألتنى عن المرأة المصرية ، والأهرام وأبى الهول وكنوز توت عنخ أمون ، والحياة الجامعية ومدى انتشار الثلاجات

الكهربائية فى بلادنا ، بادرتنى قائلة : إلى أى حد تعنون فى بلادكم بشئون العالم ؟

فلم يسعنى إلا أن أبتسم . وكان معى — لحسن الحظ — عدد من « الأهرام » كنت قد تلقيته قبل ذلك الاجتماع بثلاثة أيام . وكان مقالى فيه عن المعركة الكلامية السياسية التى كانت دائرة وقتئذ — يناير عام ١٩٥٤ — حول تعديل الدستور الأمريكى طبقاً لاقتراح تقدم به السناتور « جون بريكر » ، عضو مجلس الشيوخ عن ولاية « أوهايو » ، وكان عنوان المقال « نهاية الدبلوماسية السرية والاتجاه إلى تعديل الدستور الأمريكى » . فما إن ذكرت للمعقبة أن مقالى عن هذا الموضوع حتى بهتت ولم تنبس بحرف !

فقلت لها : إن الصحف المصرية أكثر عناية بشئون العالم من صحفكم الإقليمية الكبرى .

وعندئذ أخذت منى عدد « الأهرام » وفتحته أمام جهاز الالتقاط قائلة : هذا أمر مخجل . . «الأهرام» تكتب عن تعديل الدستور الأمريكى وصحف ولايتنا (كاليفورنيا) لا تشير إلى هذا الموضوع الخطير إلا فى إيجاز !

* * *

والحديث عن الصحافة فى الولايات المتحدة لا يمكن أن يكتمل إلا

بإظهار القارئ على نشاط وكالات الأنباء الأمريكية . ولا يتسع المقام هنا للحديث عن جميع الوكالات الكبرى ، ولهذا سأقصر كلامى على وكالة « يونايتد بريس » التى زرت مقرها العام فى نيويورك ، ودرست نظام العمل فيها بشىء كثير من الدقة والعناية .

هذه الوكالة تعد من أكبر وكالات الأنباء العالمية ، فهى تجمع الأنباء والصور والأفلام الإخبارية من شتى بقاع الأرض ثم توزعها على نحو أربعة آلاف مشترك ما بين صحيفة ومجلة ومحطة إذاعة . وهى ، فضلا عن ذلك ، توافى ما يزيد على مائة باخرة بنشرات لاسلكية خاصة ، وهى فى عرض البحر .

وتنتظم اليونايتد بريس أكثر من عشرة آلاف موظف من مختلف الجنسيات فى جميع أنحاء العالم ، منهم المحرر والمراسل والمصور الفنى .

أنشأ هذه الوكالة فى غضون عام ١٩٠٧ الناشر الأمريكى المعروف « ادوارد ويليس سكريبس » ، وذلك بإدماج ثلاث وكالات محلية صغيرة كان يملكها حينذاك فى الولايات المتحدة . وكان دافعه إلى إنشائها عدم ارتياحه إلى وكالات الأنباء الأخرى التى كانت فيما بينها تتولى جمع الأنباء وتوزيعها فى شتى مناطق العالم .

ولقد وضع « سكريبس » نصب عينيه هدفاً مزدوجاً هو إنشاء وكالة تعتمد على نفسها فى جمع الأنباء ، ثم تتولى توزيعها فى سائر أنحاء العالم

دون أن تتقيد بمنطقة معينة بالذات ومع مراعاة الحياد التام .

وكانت النتيجة أن أصبحت اليونايتد بريس أول وكالة أمريكية للأنباء توزع نشراتها الإخبارية فى أوربا وأمريكا والشرق الأقصى . وكان توزيع الأنباء فى أمريكا الجنوبية ، قبل ذلك ، وقفاً على وكالة «هافاس» الفرنسية ، وكانت وكالة روتر تنفرد بتوزيع الأنباء فى الشرق الأقصى .

بدأت اليونايتد بريس فى عام ١٩٠٧ توزع أنباءها على ٣٦٩ صحيفة كلها فى الولايات المتحدة . ثم تضاعف ذلك العدد فى مستهل الحرب العالمية الأولى ، وامتد نشاط الوكالة إلى أمريكا الجنوبية خلال سنى الحرب ، ثم إلى أوربا فى عام ١٩٢١ ، وإلى آسيا فى العام التالى . وفى عام ١٩٢٩ بلغ عدد المشتركين ١١٧٠ فى خمس وعشرين دولة . وظل العدد يزداد شيئاً فشيئا حتى بلغ الرقم الحالى .

وحرصت اليونايتد بريس ، خلال العشرين سنة الأولى من حياتها ، على وضع أسس ثابتة للأساليب التى تتبع فى جمع الأنباء وكتابتها ، مثال ذلك أنها كانت أول وكالة دَرَجَت على وضع اسم المراسل مع الخبر ، كما أنها اهتمت أيَّما اهتمام بالأحاديث الخاصة والمقالات الوصفية .

وسبقت اليونايتد بريس غيرها من وكالات الأنباء فى غزو محطات الإذاعة فى عام ١٩٣٥ ، إذ طفقت تُزَوّدها بنشرات إخبارية تكتب بأسلوب خاص تراعى فيه البساطة والسهولة فى تركيب العبارة ، حتى يتيسر

للمذيع أن يقرأها وحتى لا يجد المستمع مشقة فى تتبعها .

وفى عام ١٩٥١ أضافت اليونايتد بريس فتحاً جديداً إلى أوجه نشاطها بأن أدخلت نظام « المبرقة الكاتبة » التى تتصل بآلات اللينوتيب فى الصحف ، ومعنى ذلك أن تتم فى وقت واحد عملية إرسال الأنباء من مكاتب الوكالة إلى دور الصحف وعملية الجمع فى قاعات اللينوتيب . وتتبع الوكالة الآن هذه الطريقة فى جميع أنحاء الولايات المتحدة .

وفى خلال العام نفسه شرعت اليونايتد بريس فى استخدام التلفزيون. وفى العام التالى أدخلت الوكالة تغييراً على الطريقة التى توزع بها الأنباء من مراكز تجميعها على المشتركين فيما وراء البحار ، فاستبدلت بطريقة « مورس » التلغرافية طريقة المبرقة الكاتبة ، مما أدى إلى مضاعفة سرعة الإرسال من ٣٥ إلى ٦٠ كلمة فى الدقيقة ، كما أمكن بهذه الطريقة إرسال الأنباء بنصها الكامل دون ما حاجة إلى استبعاد الكلمات التى تفهم من السياق مثل حروف الجر .

والمكتب الرئيسى لليونايتد بريس فى نيويورك . ويديرها رئيس عام يليه خمسة نواب ، يشرف كل منهم على وجه من أوجه نشاطها العامة ، وأربعة نواب آخرين يديرون شئون الوكالة فى أربع مناطق كبرى فى العالم هى أوربا (ويدخل الشرق الأوسط فى نطاقها) وآسيا وأمريكا الجنوبية والمحيط الهادى .

وللوكالة مائة وستون مكتباً فى جميع أنحاء العالم مقسمة إلى مجموعات تتبع كل منها منطقة من المناطق الأربع السالفة الذكر .

وتوزع الوكالة أنباءها على مشتركيها بواسطة شبكات ضخمة من الخطوط اللاسلكية تستأجرها من الدول المختلفة . وطول تلك الشبكة فى الولايات المتحدة ٣٣٠,٠٠٠ ميل وفى أوربا ١٥,٠٠٠ ميل .

المادِيَّة وَالرُّوحيَّة وَالدّيمقراطيَّة

كنت أعتقد قبل زيارتى الولايات المتحدة أننى أعرف الشىء الكثير عن تلك البلاد . فأنا بحكم عملى لا بد أن أكون على علم بدستور الولايات المتحدة ، ونظام الحكم فيها ، وسياسة كل من حزبيها الرئيسيين الجمهورى والديمقراطى ، والتيارات السياسية والفكرية التى تَهُبُّ منها أو عليها من وقت إلى آخر ، وسياستها فى أمريكا الجنوبية ، وأوربا الغربية ، والشرقين الأوسط والأقصى ، وموقفها من المعسكر الشيوعى .

وكنت أعتقد أن الشعب الأمريكى لابد أن يكون شعباً ماديا يتحكم الدولار فى مقومات حياته وأنه ، لفرط إسرافه فى المادية ، يفتقر إلى العوامل الروحية والفنية التى تنسى المرء متاعبه وهمومه ، وتجعل منه إنساناً يقدر القيم الروحية ، لا مجرَّد فرد تعوزه العواطف النبيلة ، ولا يعرف معنىً للتآزر والتآلف والتعاون إلا إذا كانت المنافع والمغانم الشخصية لحمتها وسداها .

وكنت أُرجع هذه المادية المتطرفة إلى الإسراف فى التصنيع ، وإلى الرغبة العارمة فى الإنتاج على أوسع نطاق ممكن .

وكنت أشاهد بعض الأفلام الأمريكية فيخيل إلىّ أنها تنقل إلينا صورة صادقة واضحة المعالم للحياة فى الولايات المتحدة . . . عصابات إجرامية يقتل أفرادها الناس دون وازع من ضمير ، وغانيات يضربن بالتقاليد الكريمة والقيم الخلقية عرض الحائط ، وشباناً يدفعهم النزق والاستهتار

بكل شيء إلى العربدة والإغراق فى الموبقات ، وشعباً لا يعرف للحياة لذّة إلا فى عب الجعة وغيرها من أنواع الخمور .

وقبيل ظهر الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٥٣ كنت واقفاً أمام موظف الجمرك فى مطار نيويورك . وكان معى فى إحدى حقائبى فيلم عن مصر فى عهد الثورة . ولما كنت أعرف أن السلطات الأمريكية تخشى أن يهرّب أحد إلى داخل الولايات المتحدة أفلاماً فيها دعاية شيوعية ، فقد بادرت الموظف قائلا : احتفظ بالفيلم لكى تعرضوه وتعرفوا موضوعه ، ثم أعيدوه إلىّ فى أى وقت تشاءون .

فلاذ الموظف بالصمت هُنَيْهَةً وهو يتفرس فى وجهى ، ثم أجابنى وقد انفرجت أساريره : لماذا أفترض أنك غير صادق ؟ خذ فيلمك ياسيدى ، وأرجو لك إقامة طيبة وزيارة ممتعة .

قلت لنفسى : إنها لبداية طيبة أن تلمس فى أول أمريكى تصادفه فى أمريكا المغرقة فى المادية هذا الشعور الطيب ، وهذه الثقة بالناس ، الثقة بالجوانب الطيبة فى نفوسهم .

وقد قطعت ، خلال الأيام الثمانية التى قضيتها فى نيويورك ، عشرات الكيلومترات سيراً على قدمىّ ، واتصلت بأناس كثيرين ، وأيقنت أننى كنت مخطئاً فى اعتقادى بشأن مادية الأمريكيين وتفكيرهم الدولارى ، إن صح لى أن أسك هذا التعبير .

لقد اتضح لى أن دافع الأمريكى إلى التفانى فى عمله ، والظفر بأعلى مرتب أو أجر ممكن ، هو رغبته الملحة فى أن يرفع مستوى معيشته ما وجد إلى ذلك سبيلا . فطبيعى إذن أن يتخذ من المادية المقبولة وسيلته إلى أكبر قسط من الرغد والرفاهية .

والأمريكى ، فضلا عن ذلك ، منبسط ، كما يقول علماء النفس ، لا يحب الانطواء على نفسه . وهو لهذا صريح ، يحدثك فى غير لف أو دوران . فإذا زرت موظفاً فى مكتبه اعتذر لك فى صراحة عن الإفاضة فى الحديث معك إن كان مشغولا . والشرقى الذى يجهل العقلية الأمريكية ، ولا يعرف شيئاً عن طباع الأمريكيين وخصالهم ، يصدمه هذا الضرب من المعاملة ، ويجد فيه إسرافاً فى المادية ، مع أنه لايعدو كونه صراحة .

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام هو : كيف يمكن أن يكون الشعب الأمريكى مغرقاً فى المادية مع شدة شغفه بالموسيقى ؟

لقد وجدت فى كل واحدة من عواصم الولايات التى زرتها فرقة موسيقية كبيرة قوامها أكثر من مائة عازف . بل وجدت فى معظم المطاعم الشعبية « الكافيتيريا » جهاز راديو أو جهازاً لإدارة الاسطوانات الموسيقية على كل منضدة .

وكيف يمكن أن يكون الأمريكيون ماديين مع شدة ولعهم بالفنون والآداب ؟ إنك تستطيع أن تقضى عدة شهور فى ارتياد المسارح والمتاحف

دون غيرها من وسائل التثقيف والمتعة العقلية ، إذا سمحت لك الظروف وواتتك الفرص لزيارة عواصم الولايات .

ثم كيف يمكن أن يكون الأمريكيون ماديين مع أنهم طهريون فى مجموعهم ، ومع أن الكنائس والمعابد ، وهى تعد بالآلاف ، تغص دائماً بالمؤمنين فى مواعيد الصلاة ؟

إن الأمريكى يُسَخِّرُ الدولار الذى يكسبه بعرق جبينه ،وإخلاصه لعمله ، وأمانته ودقته فيه ، وتفكيره التقدمى التطورى ، لينعم فى ساعات الراحة وأوقات الفراغ بالرفاهية التى يعتقد أنه جدير بها .

ولقد تجلّت لى الروح الديمقراطية فى كل مظهر من مظاهر الحياة . فالناس متساوون فى كل شىء ، متساوون أمام القانون ، متساوون فى الفرص ، لا يفرِّطون فى حقوقهم لأنهم يؤدون ما عليهم من واجبات على أتم وجه ممكن . ولكنهم يعرفون أن هذه الحقوق والواجبات متشابكة متداخلة ، ومن ثم يتساندون ويتعاونون على نحو مثمر فى معظم الأحيان .

وحقوق الأمريكيين مكفولة لهم لأن الشعور بالمسئولية طبيعة متأصلة فى نفوسهم . والعكس صحيح أيضاً ، فإن اضطلاعهم بالتَّبعات التى توكَلُ إليهم بما يرضى ضمائرهم أولا ، هو دافعهم على الإصرار على أن تكون حقوقهم مكفولة .

وواضح أن هذا الشعور القوى بالمسئولية مرده إلى أن الرعيل الأول

من الأوربيين الذين هاجروا إلى « العالم الجديد » حباً فى الحرية ، وفراراً من شتى ألوان الاضطهاد والكبت الفكرى ، اضطروا إلى الاعتماد على أنفسهم فى كل شىء ، وألفوا هذا الشعور فى حياتهم ، وانتقل منهم بالوراثة إلى أبنائهم وأحفادهم .

ومن الأدلة القاطعة الدامغة على تأصل المبادىء الديمقراطية فى نفوس الأمريكيين ، أنك لا تجد فى الولايات المتحدة فوارق كبيرة بين الطبقات. فلا طبقة أرستقراطية بالمعنى التقليدى ، وأخرى بورجوازيد، وثالثة دنيا، والخطوط بين هذه الطبقات طفيفة مرنة . فالمليونير يدخن نفس السجائر التى يدخنها العامل ، وهذا الأخير قد يملك سيارة كتلك التى يملكها صاحب الملايين .

وترجع مرونة الخطوط بين الطبقات إلى أن المليونيرات ، وهم عديدون ، كونوا ثرواتهم الضخمة بعرق الجبين ، والاجتهاد والدقة والإخلاص والتفانى فى العمل ، فهم ، والحالة هذه ، لا يشعرون بأن ثمة شيئاً يميزهم على مواطنيهم الذين لم تسنح لهم فرص الإثراء . ولكنهم — أى المليونيرات — يعرفون ما عليهم من واجبات والتزامات اجتماعية ، فهم يساهمون فى إنشاء المعاهد العلمية ، ومعامل الأبحاث ، مشاركة منهم فى النهوض الاجتماعى والعلمى والثقافى .

والأمريكيون يشعرون حقاً بأن حكومتهم منهم وبهم ولهم ، وأنهم

يشتركون فى الحكم اشتراكاً فعالا ، وأن الأمر بيدهم أولا وأخيرا . وإليك ما جاء فى « إعلان الاستقلال الأمريكى » الذى صدر فى الرابع من شهر يوليه عام ١٧٧٦ : « إننا نعتبر هذه الحقائق واضحة فى حدّ ذاتها : أن الناس كلهم خلقوا متساوين ، وأن الخالق قد منحهم حقوقاً ثابتة لا يمكن انتزاعها منهم . وبين هذه الحقوق الحياة والحرية ونُشدان السعادة . ولضمان هذه الحقوق أنشئت الحكومات بين الناس ، وهى تستمد سلطتها العادلة من رضى المحكومين . وعندما يصبح أى شكل من الحكومات أداة هدم لتلك الغايات فمن حق الشعب أن يغيرها أو يزيلها ، وأن يقيم مكانها حكومة جديدة ، مؤسساً إياها على مبادىء ، ومنظماً سلطانها على وجه بحيث تبدو له أنها أجدر بأن تحقق له السلامة والسعادة .

* * *

حدثنى صديقى وزميلى الأستاذ نجيب كنعان ، السكرتير العام لتحرير « الأهرام » ، قال :

حينما زرت الولايات المتحدة للمرة الأولى ، فى عام ١٩٤٦ ، اجتمعت بزملائى الصحفيين فى مكتب بنيويورك تابع لوزارة الخارجية . وكان أول ما لفت نظرى أن مدير المكتب وضع أمامنا خريطة الولايات المتحدة وبادرنا قائلا : « ما هى الولايات والمدن والبقاع التى تريدون زيارتها ؟ أعرف أن رحلتكم فى بلادنا ستدوم شهراً ونصف شهر ، ولكم أن ترسموا خط

السير على النحو الذى تؤثرونه ، وأن تزوروا المدن التى تفضّلونها على غيرها . وفى وسعكم أن تروا أى شىء . . . المصانع الحربية ، ومصانع السيارات ، ومعاهد الأبحاث العلمية . . . ألخ .

وكان « البنتاجون » — مقر وزارة الدفاع الأمريكية — من بين المرافق التى طلبنا زيارتها . ولشد مادهشنا حين قيل إنلنا مطلق الحرية فى زيارة كل قسم من ذلك المبنى الضخم ، مع أن الحرب العالمية الثانية لم تكن قد وضعت أوزارها إلا منذ زهاء عشرة أشهر ، وعلى الرغم من أن القنبلة الذرية كانت فى أول عهدها . لقد جلنا فى البنتاجون دون أن يُفرض علينا أى قيدو دون أن نشعر بأن ثَمَّة مساساً بحريتنا .

وثمة أمر آخر لفت نظرى فى الولايات المتحدة ، هو الحرية المطلقة التى تتمتع بها الصحافة . إن الصحف الأمريكية تستطيع أن تهاجم من تشاء ، وأن تشن ما يحلو لها من الحملات على شريطة ألاّ تكون هذه الحملات شخصية .

وكنا ذات يوم نتجاذب أطراف الحديث فى القطار مع كبير من رجال وزارة الخارجية الأمريكية . وجاء فراش القطار ، وهو زنجى ، فاشترك معنا فى الحديث ، وناقشناه فى طائفة من المسائل السياسية ، فحمل على ترومان — وكان إذ ذاك رئيساً للولايات المتحدة — حملة منكرة متهماً إياه بالغباء وقصر النظر . ومن عجب أن ذلك الموظف الكبير ظل يصغى

إلى الفراش الزنجى فى هدوء كأن كلامه ليس فيه مساس بشخصية رئيس الجمهورية .

واسمع يا صديقى هذه القصة التى تصور مدى حق الفرد فى تلك البلاد :

كنت أزور أحد الخزانات التسعة عشر فى مشروع وادى تنيسى . وفيما أنا أبدى إعجابى بمحطات توليد الكهرباء الضخمة المثبتة على الخزانات والأهوسة التى تتسع للسفن النهرية الكبيرة الضخمة، دنا منى مهندس الهويس وقال : سترى الآن كيف يعمل هذا الهويس .

قلت : لا داعى لذلك الآن إذا كان الأمر يدعو إلى استهلاك شحنة كهربائية كبيرة لا بد أن تكلفكم مئات من الدولارات .

قال : « لا خيار لنا فى الأمر يا سيدى . إننا مضطرون إلى فتح الهويس لأن هناك زورقاً مقبلا . وأشار بإصبعه إلى قارب صغير يتسع لشخص واحد . . .

وقع نظرى على شاب يناهز الثامنة عشرة جالساً فى الزورق وعلى الحافة فتاة فى مثل سنه تقريباً . وكانا مقبلين من أعلى النهر .

قال المهندس : « هذا الشاب يريد أن يرافق صديقته حتى دارها ، ولا بد لهما من اجتياز الهويس . »

ودارت الأجهزة الكهربائية ، وبدأ تفريغ مئات الألوف من الأمتار

المكعبة من مياه نهر تنيسى . . . أما الشاب وفتاته فقد كانا يتراشقان بالابتسامات ، ويطلقان الضحكات ، كأن الأمر لا يعنيهما على الإطلاق .

وبعد أن تم التفريغ اجتاز الشاب والفتاة الهويس ، وهكذا رافقها إلى دارها .

وعندئذ أردت الانصراف ، بيد أن المهندس بادرنى قائلا : مهلا يا سيدى . بعد قليل ستشاهد هذه العملية بطريقة عكسية ، إذ من حق الشاب أن يعود . .

قلت : هذا إسراف . ألم يكن الشاب يستطيع أن يحمل قاربه الصغير الخفيف على كتفه ، ويرافق صديقته حتى دارها سيراً على الأقدام ؟

فأجابنى المهندس قائلا : إن طرق المواصلات فى أمريكا حق لكل فرد . وليس لنا أن نوصدها فى وجه أى شخص لأن حرية التنقل من حق دافع الضرائب . . .

رَأسُ المال عَبْدٌ للمُجتمع

يقول الشيوعيون إن رأس المال الأمريكى لا يدّخر وسعاً فى سبيل استغلال الشعب . فما مدى صحة هذا الكلام ؟

شغل الجواب على هذا السؤال بالى خلال المدة التى قضيتها فى تلك البلاد . وكان أهم شىء يسر لى الجواب وقوفى على البيانات التى يجمعها مكتب الإحصاءات العمالية U.S.Bureau of Labor Statistics عن أسعار السلع الاستهلاكية . والغرض من جمع هذه البيانات هو إظهار التغيرات التى تطرأ على تكاليف المعيشة . وهى — أى البيانات — تتضمن إذن السلع التى يؤثر سعرها تأثيراً ملموساً فى تكاليف المعيشة .

وهذه البيانات التى لا تشمل إلا السلع التى تبتاعها « الأسر ذوات الدخل المعتدل » تتضمن منذ مدة عدداً من السلع ، نذكر منها مكنات الحياطة الكهربائية والفريجيديرات والمكانس الكهربائية والسيارات والإطارات والبنزين والأدوية وأدوات التجميل . وهذه السلع تعد كمالية طبعاً بالقياس إلى المواد الغذائية والملابس مثلا . وأخيراً أضيفت إلى قائمة تلك السلع أجهزة التلفزيون والأطعمة المثلجة والأطعمة المحفوظة للأطفال .

إذن من السخف وقصور التفكير أن يقال إن ثمة استغلالا لحاجات

البشر فى مثل هذا المجتمع الذى أصبحت فيه تلك السلع جميعاً مهمة بالنسبة لمستوى المعيشة ، إلى درجة تقتضى إضافتها إلى تكاليف المعيشة .

من المحقق أنه لا تزال فى النظام الرأسمالى الأمريكى عيوب . ولكن من المحقق أيضاً ، استناداً إلى ما تقدم ، أن الرأسماليين لا يستغلون الشعب فى أمريكا ، بل بالعكس يلاحظ أن الشعب هو الذى يستغل الرأسماليين. ومعنى هذا أن رأس المال أصبح عبدَ المجتمع فى تلك البلاد لا سيده .

وأقوى دليل على صحة هذا الكلام الإحصاءات التى نشرتها أخيراً إدارة الاحتياطى الاتحادى ، وهى تدل على أن أربعاً من كل عشر عائلات أمريكية تزيد ممتلكاتها على ديونها بخمسة آلاف دولار على الأقل ، وعلى أن أسرة من كل عشر أسر تملك فائضاً عن ديونها قدره ٢٥,٠٠٠ دولار .

إذن من الحكمة أن يقال إن فى تلك البلاد شعباً رأسمالياً ، لا مجرد نظام رأسمالى .

وثمة سؤال آخر : إذا كانت المشكلة لا تتعلق بالرأسماليين ، فهل يمكن أن يقال إنها تتعلق بالشعب نفسه ؟ . . . الأفراد ، رجالا ونساء ، الذين يصرون على أن يبلغ مستوى معيشتهم هذه الدرجة من الارتفاع ، والذين يبذلون هذا القدر من الطاقة البشرية للوصول إليه ، لا بد أن يكونوا ماديين حتى أطراف أظافرهم !

وهذا السؤال يجرنا إلى سؤال ثالث : أليس صحيحاً أن فى مقدمة مساوىء تلك القارة أن سلعها ومنتجاتها ، وعواصمها ، ومدنها ، وقراها ، تشملها وحدة قوامها شيء كثير من التشابه والتجانس ؟

سألت نفسى هذا السؤال عشرات المرات أثناء انتقالى من مدينة إلى أخرى . فقد كان بصرى يقع على نفس الإعلانات ، وكنت أسمع نفس « اللوازم » ، ويوجه إلىّ نفس السؤال من أناس يبدو أنهم يسلكون ، ويتصرفون ، ويأخذون ويردون ، ويمرحون ، ويلهون ، بنفس الطريقة التى يسلك بها ويلهو أهالى المدينة التى جئت منها .

أين إذن الحرية التى يتشدقون بها ؟ أين حرية الفرد المقدسة ؟

الواقع أن الأمريكى يعترف فى غير لف أو دوران ، وفى صراحة أقل ما يقال عنها إنها مذهلة ، بأنه يعيش فى مجتمع رأسمالى ، وأن القياسية (توحيد المقاييس والنماذج) عامل جوهرى فى أسلوب الحياة الأمريكى .

ولكن إذا كان الأمريكى يعترف بمادية مجتمعه ، فإن ميله إلى التنوع شديد ، وهو يستجيب للتنوع وينفعل له على أنه شيء مفيد يعود عليه بخير عميم .

وآية ذلك أن قوام المجتمع الأمريكى عدداً مذهلا من الأجناس والأديان واللهجات والمصالح الاقتصادية والأفكار المثيرة . بيد أن هذا كله لا يعد فى نظر الأمريكى مشكلة يقف أمامها حائرا . ومن عجب أنه يعد

هذا الخليط ميزة كبرى !

وموقف الأمريكى من النظام السياسى المعقد ، المحير ، القائم فى بلاده ، لا يكاد يختلف عن موقفه من ذلك الخليط العجيب : لكل واحدة من الولايات الثمانى والأربعين دستورها ، وقوانينها . وهذا كله فى نظر الزائر الأجنبى ، معقد تعقيداً قد يؤدى إلى الفوضى . ولكن الأمريكى يعتقد أنه شىء مقبول وحسن ، وهو على استعداد دائماً لأن يثبت لك أنه مرتاح إلى هذا النظام السياسى الملتوى .

إن أسلوب الحياة الأمريكى قائم على هذا كله . وثمة وحدة عجيبة حقًّا تشمل هذه الأمور المنوَّعة ، المتباينة المتغايرة . ولهذه الوحدة صلة مباشرة متينة بمثل عليا وعقائد لا نبالغ إن قلنا إنها لحمة الحياة الأمريكية وسداها . والحقيقة التى تعذَّر حتى اليوم على سائر شعوب العالم أن تفهمها وتستوعبها هى أن الأمريكيين يَحْيَوْنَ حياة هى مزاج من الواقعية والمثل العليا. مثال ذلك أن الرئيس الأمريكى الأسبق «ثيودور روزفلت» قال فى مستهل هذا القرن « يطيب لى التبشير لا بمذهب الراحة الكريهة ، بل بمذهب الحياة الفوارة بالنشاط والجهد والجرأة » .

وهذه الحياة الأمريكية الفوارة بالنشاط والجهد والجرأة أذهلتنى مثلما أذهلت غيرى ، ودعتنى إلى التساؤل مرارا : ما الداعى إلى هذا كله ؟

وأدعى من هذا إلى العجب أن الأمريكى يجدُّ فى اللعب ، ويجهد

نفسه فى الرياضة ، مثلما يجد ويجهد نفسه فى العمل . إنه يستهلك قدراً هائلا من طاقته البشرية فى لعب الجولف والبيزبول والتنس والرحلات وصيد السمك والطيور ، ويؤثر هذا كله على رياضة المشى لأنها رياضة هينة يسيرة لا تكلفه كثيراً من المشقة والإعنات .

وبعد أن زرت عدداً من المصانع ، وفى مقدمتها مصانع فورد فى « ديترويت » ، كنت أتسائل أيضاً : إن العمل فى المصانع مجهد إلى أقصى حد . فلم يبذل الأمريكى مزيداً من الجهد فى ساعات الفراغ ، الساعات التى ينبغى أن يطيب للمرء فيها أن يخلد إلى الراحة ، ويستمتع بالهدوء ، وينعم بخلو البال ، ما وجد إلى ذلك سبيلا . ؟

وجهت هذا السؤال وغيره إلى كثيرين من الأمريكيين ، فكان الجواب واحداً تقريباً : الحياة ليست مجرد حفظ الطاقة البشرية . إن الطاقة تولد الطاقة ، وإن ساعة يقضيها المرء فى ممارسة لعبة رياضية عنيفة تنشط قواه العقلية فى صباح اليوم التالى .

إذن فالحياة الفوارة بالنشاط والجهد والجرأة هى طابع الأمريكيين ، وهى تستمد عناصرها من الضرورات العملية لقارة ما برحت بكراً إلى حد كبير ، وكذلك من مثل أعلى هو الوصول بالإنسان إلى الكمال الممكن .

المرأة الأمريكيّة

العالم بأسره يعرف وجوه « هوليوود » . . . القدود الممشوقة ، والخصور الضامرة ، والوجوه الفاتنة الساحرة التى تعلوها تيجان من الشعر الذهبى الرائع ، والأظافر المتقنة التكوين والتلوين ، والحركات التى تخلب اللُّبَّ وتمتّع البصر . . .

بيد أن وجوه الهوليووديات ، وأجسامهن ، وشعرهن الذهبى ، لا تمثل وجوه الأمريكيات ، وأجسامهن ، وشعرهن ، فإن شعر الكثرة الغالبة من الأمريكيات أميل إلى السمرة ، وهن لسن نحيفات كنجوم السينما اللاتى نراهن فى الأفلام ، إذ تدل الإحصاءات الأخيرة على أن متوسط وزنهن زهاء ستة وخمسين كيلوجراما . ومعنى هذا أنهن « ملفوفات » فى مجموعهن .

وقد تعجب إذ تعلم أن معظم الأمريكيين يؤثرون ذوات الشعر الأسمر على الشقراوات . وكنت ، قبل سفرى إلى الولايات المتحدة ، قد رأيت فيلماً عنوانه « الرجال يفضلون الشقراوات » . وبعد أن قضيت فى تلك البلاد نحو شهرين اتضح لى أن العكس هو الصحيح ، وأن الفيلم لا يمثل أمزجة ثلثى الأمريكيين على الأقل ، وأذواقهم وموقفهم من بنات حواء .

والفتيات الأمريكيات يؤثرن الزواج قبل أن يتجاوزن الخامسة والعشرين

فى معظم الأحيان . وأكثرهن يتزوجن عن حب ، ولا يقمن للمسائل المادية أى وزن تقريباً .

حين كنت فى سان فرانسسكو تعرَّفت فى إحدى الحفلات ، بفتاة حلوة القسمات ، جميلة التكوين ، فى عينيها ذكاء ، وخبث ، وفتنة . سألتها عن هدفها فى الحياة دون أن أسألها عن عمرها لأن الجمال لا عمر له ، فقالت فى لهجة لاأثر للتردد فيها : الزواج . . أليس هذا طبيعياً ؟ قلت : لا شك عندى فى أن جمالك قد خلب الباب عشرات من الرجال . فلاذت بالصمت هنيهة ، وارتسمت على وجهها الجميل ابتسامة فاتنة ، ثم أجابت : ولكن قلبى لم يخفق إلا لرجل واحد . قلت : لا بد أن يكون من أصحاب الملايين ، أو من ذوى النفوذ على الأقل ، أو . . . فقاطعتنى قائلة وهى تضحك : بل هو عاطل . . . . إنه بلا عمل منذ أنقَضَّ علينا الحب كالصاعقة . هو فى الخامسة والعشرين ، وأنا لم أتجاوز الثانية والعشرين بعد . قلت : وهل تنوين الزواج من عاطل ؟ قالت : سننتظر حتى يجد عملا . ما الداعى إلى العجلة ؟ إنى أتقاضى عن عملى كسكرتيرة لأحد كبار رجال الأعمال مرتباً لا بأس به ، وفى وسعى أن أساعد خطيبى حتى يبتسم له الحظ . .

وشعور الرجال فى أمريكا لا يختلف عن شعور النساء فى ميدان الحب الذى يؤدى إلى الزواج . إنهم يتلهفون على الوردة والزنبقة ، ويبحثون

عن الحب النقى الخالص ، ويؤثر معظمهم الجمال على المال .

ما سر هذه العاطفة ؟ كنت أسأل هذا السؤال فى كل مكان ، وكان الجواب واحداً فى أغلب الأحيان : لاشك أن فى مسلك الشبان الأمريكيين شيئاً من سلامة النية ، وصفاء القلب ، والبساطة ، والسذاجة . بيد أن ثمة أمراً أهم من هذا كله هو أن ثقتهم بأنفسهم قوية لا تتزعزع . إنهم لايخشون المستقبل ، لأنهم لا يتوانون فى البحث عن الوظائف ، والسَّعى لكسب المال . ولعلك تدهش ، مثلما دهشت ، حين تعلم أن الشاب الذى يستعد للزواج ، وإنشاء أسرة وبيت ، يكون متفائلا مستبشراً بوجه عام .

وإذا كان الأمريكيون يتزوجون وهم فى شرخ الشباب ، عن حب دفين لا أثر فيه للعوامل المادية فى الكثرة الغالبة من الحالات ، فإن الطلاق عندهم يبدو سهلا . وهذه مشكلة خطيرة ، ولكن يلوح أن نسبة الطلاق بدأت تَقل شيئاً فشيئا بدليل أن عدد الأولاد فى ازدياد .

وجدير بالذكر أن المرأة الأمريكية ليست مدللة ، فهى تعمل بجد واجتهاد ، إذ لا وجود للخدم تقريباً فى الولايات المتحدة . فأنت تجد زوجات أساتذة الجامعات ورجال الأعمال والعمال ، ورجال الدين وغيرهم ، يقمن بجميع الأعمال المنزلية . أما السيدات اللائى يشغلن وظائف فإنهن يعتمدن فى الاضطلاع بالأعمال المنزلية على خادمات يعملن بضع ساعات فى الأسبوع ، ويتقاضين نحو دولارين فى الساعة الواحدة .

والمرأة الأمريكية لا تحب الأعمال المنزلية ، ولكنها مضطرة إلى القيام بها . وهى ، لهذا ، تقتصد من مصروفها ، ما وسعها الاقتصاد ، لتشترى غسالة أوتوماتيكية ، ومكنسة كهربائية ، وفريجيدير . فإذا تعذر عليها شراء هذه الأجهزة استعانت بزوجها. وقد قيل لى أن أكثر من ثلثى الأزواج الأمريكيين يغسلون الأطباق ، ويساعدون فى الطهى . .

وللمرأة الأمريكية دورٌ لا يستهان به فى حلبة السياسة ، فعُصبة الناخبات تضم الآن أكثر من مائة ألف عضو من السيدات المعنيّات بالشئون العامة. ومجلسا الكونجرس يضمّان عدداً من السيدات . وتبين خلال الانتخابات النيابية الأخيرة أن المرأة لعبت فيها دوراً على أعظم جانب من الأهمية .

والخلاصة أن المرأة الأمريكية تضطلع بمسئولية اجتماعية كبيرة .

والحديث عن المرأة الأمريكية والزواج يجرنا ، بطبيعة الحال ، إلى الحديث عن الحب بوجه عام . وأول ما يلاحظ هنا أن أمريكا تبدو كأنها البلد الوحيد فى العالم الذى يُعَدُّ فيه الحب مشكلة قومية . فأنت لا تجد شعباً آخر فى العالم يخصص وقتاً طويلا لدراسة العلاقات بين الرجال والنساء على نحو ما يفعل الشعب الأمريكى .

والحب الأمريكى كالديمقراطية الأمريكية . . . إنه شىء جميل عظيم ، بيد أنه ليس خلْوًا من الشوائب وعوامل الضعف والوهن ، شأنه

المؤلف يسأل خمس شابات أمريكيات : كيف يمكن أن يكون الحب سلعة .. ؟

فى ذلك شأن الديمقراطية التى لا تخلو من الأمراض . وإذا كان الساسة فى أمريكا يبذلون قصارى جهدهم للوصول بالنظام الديمقراطى إلى درجة الكمال الممكن ، فإن أفراد الشعب الأمريكى لا يدخرون وسعاً فى سبيل الوصول بالحب إلى أقصى درجات الصفاء .

والسر فى نجاح الديمقراطية الأمريكية والحب الأمريكى فى ميدان التطبيق العملى هو التغاضى عن كثير من الأدواء والأخطاء والعثرات ، والاقتناع بأن الكائنات البشرية لا يسعها أن تخضع لنظام على نمط واحد فترة طويلة من الزمن . ولكن هذا لايمكن أن يرضى أمة تؤمن بالكمال ، وتسعى إليه سعياً حثيثاً مطردا ، على الرغم من إيمانها . فى الوقت نفسه ، بفلسفة الذرائع ، واتجاهها اتجاهاً عمليًّا أولا وقبل كل شىء .

وثمة قرائن عديدة حملتنى على الظن أن الأمريكيين يميلون إلى الاعتقاد أن فكرة الحب ينبغى أن تباع للشعب كسائر السلع التى تعرض فى المتاجر. ومرد اعتقادهم هذا ، فيما يبدو لى ، إلى إيمانهم بأن الحب شىء ينبغى أن تتاح لأفراد الشعب جميعاً فرصة الظفر به ، وأن تكرار كلمة « الحب » يجعلها ترسخ فى العقل الباطن أو اللاشعور . . إنها تغزوه مثلما تغزوه أسماء الأدوية وأدوات التجميل والأدوات الكهربائية المنزلية التى يكثر الإعلان عنها فى الصحف .

وكنت أسمع ألحاناً فوارة بالحب كلما أدرت جهاز الراديو فى غرفتى

بالفندق ، سواء فى نيويورك أوواشنطن أو سان فرانسسكو أونيو أورليتز . وأعتقد أن ما من بلد فى العالم أجمع يستهلك مثل هذا العدد من الأغانى الغرامية . وسواء أكانت مرحة أم تفيض شوقاً وحنينا ، أم كان اللحن نفسه حلواً أو عاديا ، وسواء أكان النظم رائعاً أم تافها ، فإن الفكرة التى تدور حولها الأغنية هى الحب ، ولا شىء غير الحب !

والواقع أن هذه الرومانتيكية اللذيذة التى يجد الزائر نفسه غارقاً فى جوها إن هى إلا مظهر من مظاهر التفاؤل والاستبشار فى تلك البلاد .

أمريكا والشّرق الأوسط

الشرق الأوسط فى عرف الخبراء الأمريكيين بالشئون الدولية ، هو المنطقة التى تضم مصر والسودان ولبنان وسوريا والعراق والأردن والمملكة العربية السعودية وإمارات الخليج الفارسى واليمن وإيران وإسرائيل .

ويزداد اهتمام الساسة الأمريكيين بالشرق الأوسط على مر الأعوام . ومرد هذا الاهتمام إلى أن لأمريكا مصالح اقتصادية كبيرة فى هذه المنطقة . وقد أوضح لى بعض أولئك الساسة ، أثناء وجودى فى واشنطن ، هذا الاهتمام فقالوا إن ما تضعه أمريكا نُصْبَ عينيها هو معاونة شعوب هذه المنطقة على النهوض اقتصادياً واجتماعياً ، وتقوية وسائلها الدفاعية ، والتعاون دفاعيا داخل نطاق الأمم المتحدة .

كذلك يرجع اهتمام الولايات المتحدة بهذه المنطقة إلى أن اتجاهات شعوبها تؤثر تأثيراً قويا بعيد المدى فى اتجاهات كثير من الشعوب الأفريقية والأسيوية .

وكان الرئيس أيزنهاور قد قال فى إحدى المناسبات قبل توليه الرياسة فى يناير عام ١٩٥٢ : « إن الشرق الأوسط أهم منطقة فى العالم من الناحية الاستراتيجية » .

وأهداف السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، كما فهمتُها من المصادر

الرسمية الأمريكية فى واشنطن ، هى إقرار السلام ، وتوثيق التعاون بين دول هذه المنطقة والدول الغربية ، وإرساء نظم الحكم على أسس ديمقراطية سليمة ، وتمهيد السبيل لتدابير دفاعية إقليمية .

وهنا يقول مستر « هنرى بايرود » ، السفير الأمريكى الجديد فى مصر والمساعد السابق لوزير الخارجية الأمريكية ، فى حديث أذيع فى أواخر عام ١٩٥٣ : « هناك عوامل كثيرة تبعثُ على التفاؤل فى شئون أمم الشرق الأوسط . . . فى كل بقعة من هذه المنطقة فيض من البوادر المشجعة . . . » . ثم يقول : « إن الهدف الرئيسى للولايات المتحدة حيال أمم هذه المنطقة من العالم ، هو أن تفعل كل ما فى وسعها لتحقق التفاهم والاحترام المتبادلين بين الولايات المتحدة وسائر هذه الدول . وليس ثمة ريب فى أن كثيراً من الشعوب تتشكك فى نياتنا وتسىء فهم ما نحاول القيام به . فهذه الشعوب — مثلا — تكره الاستعمار كراهية أصيلة لها ما يبررها . ومن ثَمَّ فليس ممايثير الدهشة أن تضرب الدعاية الشيوعية فى تلك المنطقة على وتر خاص هو ما تزعم من أن الولايات المتحدة تحاول إخضاع تلك الدول عن طريق الاستعمار الاقتصادى والأحلاف العدوانية العسكرية ، وغير ذلك من العبارات البرَّاقة التى برع الشيوعيون فى استغلالها ليخدعوا الشعوب . وأعتقد أننا قد أوضحنا أننا لا نضمر شيئاً من هذه الأغراض » .

وبانتهاء عهد ترومان ، بدأت السياسة الخارجية للحكومة الأمريكية الجديدة تتغير ، وأخذ الرئيس أيزنهاور ينظر إلى الدول العربية جمعاء نظرة جديدة تتفق وأهميتها فى المحيط الدولى بما يحقق السلام والمودة فى الشرق الأوسط ، وطفق يتبع سياسة فيها شىء كثير من التجاهل لسياسة «ترومان» التى كانت أقوى سند للاستعمار .

وتجلّت هذه السياسة الجديدة فى قول مستر «بايرود» أن الاضطرابات والتيارات الخفية فى الشرق الأوسط تجعل من العسير علينا جداً أن نصل إلى أهدافنا . وكثير من دول هذه المنطقة لم تظفر باستقلالها إلا منذ عهد قريب . وهى ، لهذا ، جدُّ حريصة على سيادتها القومية ، شديدة الارتياب فى النفوذ الأجنبى ، لأنها ظلت أعواماً عديدة تحت نير الاحتلال . »

ثم ازدادت تلك السياسة وضوحاً حين أبلغ الرئيس أيزنهاور الأمير فيصل آل سعود ، أثناء اجتماعهما فى واشنطن خلال شهر أبريل عام ١٩٥٣ — على ما أذكر — أنه مهتم بتحسين العلاقات التى ساءت بين العرب والولايات المتحدة فى الأعوام الماضية ، وأنه سيُعنى كل العناية بإعادة الثقة التى كانت تتسِّمُ بها هذه العلاقات ، ويأمل أن يعاونه زعماء البلاد العربية على بلوغ هذه الغاية .

وهكذا شرعت حكومة أيزنهاور فى السعى إلى بلوغ أهدافها فى هذه المنطقة . وكان أهم مسعى قامت به فى هذا الشأن توسطها لفض النزاع

المصرى الإنجليزى معتقدة اعتقاداً قوياً أن مصر أهلٌ للتأييد فى عهدها الجديد ، عهد النظام والاتحاد والعمل ، عهد القوة الذاتية والقوة الدولية ، وموقنة أننا لن نرضى بغير الجلاء التام بديلا ، ولن يهدأ لنا بال أو تغمض لنا عين إلا بعد أن يخرج آخر جندى إنجليزى من منطقة قناة السويس ، وإلا بعد أن تكون سيادتنا على كل شبر من أراضينا وجَوِّنا ومياهنا كاملة لا تشوبها شائبة مهما ضؤلت .

ولاشك أنه كان للوساطة الأمريكية أثرها فى اتفاق الحكومتين المصرية والبريطانية على مسألة السودان ، وفى الاتفاق على الجلاء عن منطقة القناة. وكان دافع حكومة واشنطن إلى هذه الوساطة أن ثورتنا المباركة جعلتنا أمة جديرة باحترام الدول . وفى هذا قال بايرود : « إن الأهداف السياسية والأعمال التى يقوم بها رجال العهد الجديد فى مصر جديرة بتأييدنا التام ، فلقد اضطلعوا بمُهِمَّةِ القضاء على الفساد والرشوة فى الأداة الحكومية ، واهتموا بالإصلاحات التى تعود بالنفع على المصريين جميعاً . . . وينبغى أن نكون جميعاً على استعداد لمعاونة مصر على بلوغ أهدافها . . . »

وهذا اعتراف صريح بنعم الثورة علينا ، وبأن حكومتنا قوية تعرف ما تريد ، وتتأهب لكل طارىء ، وتقدس حقوق الشعب .

ولقد رأيت ، بُعَيْدَ الاتفاق على الجلاء بفضل الموقف الحازم العظيم الذى وقفه بطل الجلاء الرئيس جمال عبدالناصر وأعوانه الأبرار ، مما حقق لنا أمنيتنا

الوطنية الجوهرية وهى استكمال حريتنا واستقلالنا — رأيت أن أزور مستر « جيفرسون كافرى » ، السفير الأمريكى السابق فى مصر ، لعلى أظفر منه بما يُلقى مزيداً من الضوء على الدور الذى اضطلع به فى تلك المباحثات . وتمت الزيارة فى السادس من أغسطس عام ١٩٥٤ . قلت : ما رأيك فى اتفاق الجلاء ؟

قال : إنى مغتبط بهذا الاتفاق أيما اغتباط ، فقد أزال شيئاً كالسحابة السوداء . وأهميته من الناحية السيكولوجية لا تقل عن أهميته من الناحية المادية .

ومضى مستر « كافرى » يقول : « أنت تعرف أننى أحب الرحلات . وقد قمت برحلات عديدة وطويلة منذ وليت هذا المنصب . ولم أكن أسمع فى الماضى ، أثناء رحلاتى ، كلاماً كثيراً عن الجلاء . ولكن اتضح لى خلال العامين الماضيين أنكم أصبحتم أكثر اهتماماً بهذه المسألة » .

قلت « لعلك ترى معى ياسيدى أن مردّ هذا الاهتمام خلال العامين الأخيرين إلى أن الوعى القومى تبلور على نحو لم يسبق له مثيل بفضل توحيد صفوفنا ، وتعاوننا الصادق ، والقضاء على تجار السياسة والاستغلاليين والانتهازيين وأعوان الاستعمار الذين كانوا يضعون مصالحهم الشخصية فوق مصالح الوطن .

وقلت « إننا نعرف جميعاً أنه كان « لمساعيك الحميدة » — وهو التعبير الذى تؤثره على كلمة الوساطة — أثر طيب فى إزالة كثير من العقبات التى اعترضت سبيل المباحثات . فهل لى أن أظفر منك بتصريح عن هذه المساعى الحميدة ؟

(١٠)

أجاب فى تواضع جم : « من بواعث الغبطة لى أننى أديت واجبى فى هذا المجال » .

وقبيل تخليه عن منصبه أدلى إلى صديقى مستر « وولتر كولينز » ، المدير العام لوكالة اليونايتد بريس فى الشرق الأوسط ، بتصريح قال فيه : « إنى مؤمن بأن حكومة الرئيس جمال عبد الناصر ستوفق فى نضالها للنهوض باقتصاد البلاد ، وأن الحكومة الأمريكية قدّمت الدليل على إيمانها بذلك حين منحت مصر معونة اقتصادية » .

واستطرد مستر « كافرى » قائلا « إن نجاح النظام الجديد فى مصر أو فشله يرتهن فى نهاية الأمر بنهضة البلاد الاقتصادية ، وإنى واثق من أنه سينجح » .

ثم قال « . . . ليس أمام مصر الآن من المشكلات الكبرى سوى المشكلة الاقتصادية . وقد أعجبت بسرعة الحكومة الحاضرة وصدق عزمها على زيادة وسائل الإنتاج ، سواء فى ميدان الزراعة أو الصناعة ، لتهيئة حياة أفضل للشعب المصرى . وستوزن أعمال الحكومة آخر الأمر بمدى نجاحها أو فشلها فيما تضطلع به فى هذه الناحية . ولكنى مؤمن بأنها ستنجح ، فإن هذه الجهود الضرورية الضخمة التى تبذل لا تمثل قوة تصميم الحكومة فحسب ، ولكنها تمثل كذلك إرادة الشعب ورغبته فى أن يهيئ لنفسه حياة أفضل . . . »

أمريكا والعالم

فى الفترة بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٥٠ كان ساسة الولايات المتحدة يُركِّزون اهتمامهم فى مساعدة الدول التى تربطها بأمريكا روابط الصداقة على النهوض اقتصاديا . وقد تجلى ذلك الاتجاه ، أكثر ما تجلى ، فى مشروع « مارشال » وفى برنامج الإنعاش والتعمير وغيره من البرامج التى رصدت لها واشنطن زهاء عشرين ملياراً من الدولارات .

وكانت مسائل الدفاع عن العالم الحر من الناحية العسكرية تأتى ، خلال تلك الفترة ، فى المرتبة الثانية . ومردُّ ذلك ، فيما يبدو ، إلى أن احتكار الولايات المتحدة للطاقة الذرية وقتئذ كان يحول دون الخوف من أن يحاول السوفييت إشعال أية حرب جديدة .

وكان الساسة الأمريكيون ، خلال بضعة الأعوام التى تلت عام ١٩٤٠ ، يعتقدون أن فى الإمكان وقف التوسع الشيوعى بتمكين الدول المعرضة له من النهوض اقتصاديا واجتماعيا .

ولكن حدث فى الخامس والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٥٠ أن اجتاز الشيوعيون الكوريون خط العرض الثامن والثلاثين . وكان ذلك الهجوم نقطة تحول فى الخطط الاستراتيجية الأمريكية .

فقد رأت الولايات المتحدة لزاماً عليها أن تتخذ عدداً من القرارات

السريعة ، وأن تتزعم مجموعة من الأمم بدأت آنئذ تطلق عليها اسم « العالم الحر » ، وذلك فى حركة ضخمة استهدفت توفير وسائل الدفاع العسكرى. ذلك أن نجاح الاتحاد السوفيتى فى صنع القنبلة الذرية ، والهجوم الذى شنه الكوريون الشيوعيون الشماليون ، أقنعا ساسة واشنطن بأن سياسة الاقتصار على تقديم العون الاقتصادى ، التى اتبعوها حتى عام ١٩٥٠ ، لم تكن مجدية .

وفى ربيع عام ١٩٥١ ، أفضى المتحدثون الرسميون باسم الحكومة الأمريكية بتصريحات يفهم منها أنه إذا اصطدمت « الحاجات الدفاعية » لحفاء أمريكا الرئيسيين « بالحاجات المدنية » وجب الاهتمام بشئون الدفاع أولا .

وفى الخامس من شهر مارس عام ١٩٥٣ توفى ستالين . وعلى إثر ذلك شَرَعت روسيا تقوم بحملة سلمية مما دعانى وقتئذ إلى أن أقول ، فى تعليق اليومى على الأحداث الدولية فى « الأهرام » ، إن سياسة مالنكوف يمكن أن تُعَدَّ نَبْذًا لسياسة ستالين إلى حد كبير . وكان دليلى على ذلك أن رجال الكرملين ساهموا بنصيب كبير فى إنهاء الحرب الكورية ، وبدأوا يتحدثون عن إمكان « المعايشة » بين المعسكرين الشيوعى والغربى .

وفى غضون ذلك اشتد التسابق فى ميدان التسلح بالقنابل والأسلحة الذرية والقنابل الهيدروجينية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى .

وبدأنا نتلقى أنباء عن أسلحة جديدة رهيبة : قاذفات قنابل ذرية ضخمة تقطع آلاف الأميال دون توقف ، وطائرات موجّهة باللاسلكى لقذف شتى أنواع القنابل ، وصواريخ من مختلف الأحجام . . ألخ .

وكان من أثر هذا كله أن أصبح من المحقق أن إشعال حرب جديدة سيكون مغامرة على أعظم جانب من الخطورة .

وهكذا بدأ الرأى العام العالمى يميل إلى الاعتقاد أن ثمة بصيصاً من الأمل فى الحيلولة دون نشوب حرب عالمية جديدة يشتبك فيها المعسكران الشيوعى والغربى . ولقد أعرب الرئيس أيزنهاور وأعضاء مجلس الأمن القومى الأمريكى عن هذا الأمل . وقال الرئيس الأمريكى فى التاسع من شهر ديسمبر عام ١٩٥٤ ، إن فرص السلام الآن خير منها يوم ترك جامعة كولومبيا فى غضون عام ١٩٥٠ ليتولى قيادة قوات حلف الأطلنطى . وفى السابع عشر من الشهر نفسه قال « إن أمل الإنسانية فى السلام قد ازداد اليوم إشراقا » . ولكنه استدرك قائلا « إن أمريكا تتحدث عن سلام يقوم على أساس من الكرامة والحقوق الإنسانية . ولكن لا يظنّن أحد أننا نريد السلام بأى ثمن ، أو أننا سنتخلى عن المبادئ فى سبيل التسامح مع شرٍّ ظاهر ، أو أننا سنمتهن كرامتنا مقابل حل وقتى . »

وفى مستهلّ شهر يناير عام ١٩٥٤ ، قال الرئيس أيزنهاور فى رسالته إلى الكونجرس ، بمناسبة افتتاح الدورة البرلمانية الثالثة والثمانين ، إن برنامجه

فى السياسة الخارجية ليس إلا استمراراً للأهداف الرئيسية التى توختها حكومة ترومان الديمقراطية فى سياستها الخارجية ، مع طائفة من التعديلات اقتضاها عصر الذرة . وقال فى هذا الشأن إن الدفاع الأمريكى سيكون أشد قوة إذا اطلعت أمريكا حلفاءها على بعض الأسرار الذرية . ثم قال إن القوة الذرية الأمريكية أوجدت صلة جديدة بين القوى البشرية والقوى المادية ، وإن الاحتياطى الاستراتيجى الأمريكى ينبغى أن يعدّ إعداداً يتيح استخدامه على الفور عند الاقتضاء .

وقد رأى أيزنهاور لزاماً عليه أن يفضى بذلك التصريح آنئذ من جرّاء ما أحس به حلفاء أمريكا ، وكثير من الأعضاء الديمقراطيين فى الكونجرس الأمريكى ، من قلق مردّه إلى القرار الذى كانت الحكومة الأمريكية قد اتّخذته بسحب فرقتين من كوريا وخفض القوات البرية ، والاعتماد فى الدفاع على القوات الجوية والأسلحة الذرية .

وليس من شك فى أن سياسة الولايات المتحدة خلال عام ١٩٥٤ كانت عاملا أساسيا فى توثيق عرى الوحدة بين جميع مناطق العالم غير الشيوعى . ولقد تجلت التبعات التى قبلت الولايات المتحدة الاضطلاع بها فى حلبة الشئون الدولية ، خلال مؤتمرات برلين وجنيف ولندن وباريس ومانيلا وكراكاس . وكان من أثر هذا كله أن استطاع الرئيس أيزنهاور أن يقول إن فرص السلام الآن (ديسمبر عام ١٩٥٤) أكبر منها فى أى وقت

المؤلف يتحدث إلى مستر هنرى بايرود فى مكتبه بوزارة الخارجية
فى واشنطن قبل تعيينه سفيراً للولايات المتحدة فى مصر

آخر خلال السنوات الأربع الأخيرة . فى أوربا أيدت الولايات المتحدة ، ما وجدت إلى التأييد سبيلا ، المشروعات التى استهدفت توسيع نطاق الوحدة فى تلك القارة حتى تشمل جمهورية ألمانيا الاتحادية الغربية . وهذه المشروعات شملتها الاتفاقات التى جرت المفاوضات بشأنها فى لندن وباريس خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر من العام نفسه . وفى الوقت ذاته ، قامت الولايات المتحدة بدور كبير فى القارة الأسيوية إذ اشتركت مع دول أخرى غير شيوعية فى معاهدات استهدفت تحقيق السلام والاستقرار فى تلك المنطقة .

ولم يدَع جون فوستر دالاس ، وزير الخارجية الأمريكية ، مجالا للشك فى أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة ستظل كما كانت منذ وَلىَ الجمهوريون الحكم ، على الرغم من أن زمام الموقف فى الكونجرس قد انتقل من أيدى الجمهوريين إلى أيدى الديمقراطيين . وألقى دالاس مزيداً من الضوء على تلك السياسة إذ قال « لا تزال عند الروس قوى عسكرية تزيد على حاجتهم الدفاعية . وما برح شيوعيو الصين يقترفون أعمال العدوان . وفى كل بلد حر جهاز شيوعى يعمل على قلب نظام الحكم القائم . ومن ثم يقضى الواجب علينا بأن نبقى يقظين . ونحن نعتقد أن أكبر مساهمة فى إقرار السلام تكون بالاستعداد للقتال إذا مست الحاجة إليه . لهذا عملنا على إنشاء دفاع عن قارتنا يتألف من عدة أنظمة دقيقة للإنذار وحواجز

استُخْدِم فيها العلم الحديث ، مما يمكننا من إنزال الهزيمة بقاذفات الحمر إذا اشتبكت فى قتال مع الولايات المتحدة .

وتحدث دالاس عن موقف الولايات المتحدة من الصين الشيوعية فى خطاب ألقاه فى الثلاثين من شهر نوفمبر عام ١٩٥٤ ، فقال إن الحكومة الأمريكية ستستنفد جميع الوسائل السلمية فى تصرفاتها مع الصين الحمراء ، بدلا من الالتجاء إلى الأعمال العسكرية للانتقام منها لأنها سجنت ثلاثة عشر أمريكيا بتهمة التجسس . ولم يكتف دالاس بهذا بل أعرب كذلك عن مخاوفه من اتخاذ تدابير مسلحة ضد الصين الحمراء خشية أن ينشأ عنها اختلال فى ميزان السلام العالمى وانقسام العالم الحر على نفسه . ثم قال « لن نسمح لأنفسنا بأن نروح ضحية الاستفزاز ، فنرتكب عملا يكون فيه نقض لالتزاماتنا الدولية وإضرار بحلف الدول الحرة . فربما كانت الشيوعية الدولية تجرب وسيلة جديدة لتفريق كلمة شعوب العالم الحرة » .

وقد عُدَّ ذلك الخطاب بمثابة رد رسمى من الحكومة الأمريكية على الحملة التى قام بها إذ ذاك السناتور « وليم نولاند » ، زعيم الأغلبية فى مجلس الشيوخ الأمريكى ، مطالباً باتباع سياسة أكثر شدة مع الاتحاد السوفييتى والصين الشيوعية . وقد اتضح أن وزير الخارجية الأمريكية ألقى ذلك الخطاب تحقيقاً لرغبة أبداها أيزنهاور الذى تدل جميع القرائن على

أنه يحاول جاهداً أن يزيل كل ما يمكن أن يكون قد علق بالأذهان فى الولايات المتحدة ، وفى سائر أنحاء العالم ، من مخاوف أساسها الاعتقاد أن النتائج التى أسفرت عنها الانتخابات الأمريكية من شأنها أن تحمل حكومة واشنطن على إعادة النظر فى سياستها الخارجية .

وقد نشرت مجلة « نيشانز بيزينيس » ، فى عددها لشهر يناير الماضى ، فصلا كتبه دالاس عن أهداف الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٥ ، فقال : إن هذه الأهداف هى صونُ السلام والمحافظة على الأوضاع الأساسية لقوة العالم الحر . وأضاف إلى ذلك قوله : « إن أى تقدم نحققه مع زعماء الشيوعية فى عام ١٩٥٥ سيتم ونحن فى مركز قوى لا فى مركز ضعيف . وسنجتمع بهم ونفاوضهم متى استطاعوا إقناعنا بأن معنى السلام فى لغتهم لا يختلف عن معناه فى اللغة العالمية التى تفهمها الأمم الحرة . » ثم قال إن الولايات المتحدة ودول العالم الحر تستهدف عقد معاهدات كتلك التى أبرمت أخيراً مع جمهورية الصين (الوطنية) ، وبذل الجهود للحيلولة دون نشوب حرب عالمية ثالثة ، والاحتفاظ بالقواعد فيما وراء البحار وتعزيزها .

ولقد قال الرئيس أيزنهاور فى رسالته عن حالة الاتحاد « لقد قطعنا شوطاً طويلا فى سبيل الانتقال إلى اقتصاد سلمى . والحالة الاقتصادية تبشر بخير عميم » .

وهذه العبارة تلفت النظر وتثير الانتباه والاهتمام ما فى ذلك شك ،

لأن قطع شوط طويل فى سبيل الانتقال إلى اقتصاد سلمى معناه أن الرئيس الأمريكى ورجال حكومته يميلون إلى التفاؤل فيما يتعلق بتطور الحالة الدولية على الرغم من أن الموقف لا يخلو من الخطورة فى بعض المناطق ، ويعتقدون أن ثمة أملا فى تجنيب البشرية أهوال حرب عالمية ثالثة تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل بشتى أنواعها وفى مقدمتها القنابل الذرية والهيدروجينية ، وأن التفاهم السليم الخالص الصادق بين المعسكرين الشرقى والغربى ليس من رابع المستحيلات ، وأن الفرص ما برحت مواتية للتخفيف من شدة الحرب الباردة و التوتر الدولى .

ولاتنطوى رسالة أيزنهاور إلى الكونجرس على شىء يوحى بأن الأحداث والتطورات التى حفل بها عام ١٩٥٤ قد حدت بالحكومة الأمريكية إلى إدخال أى تعديل على سياستها الخارجية وخلاصتها ضمان السلام وتعزيزه بالقوة ، أو سياستها الداخلية وخلاصتها توفير عوامل الرخاء فى ظل حكومة يقظة ، إذ الواقع أن أيزنهاور لم يقترح على الكونجرس إلا تنفيذ سياسة قائمة فعلا لا وضع منهج جديد .

وواضح كل الوضوح أن سياسة أمريكا الخارجية باقية كما هى ، لم يطرأ عليها أى تبدل أو تعديل ، فهى تستهدف الاحتياط والاستعداد لمواجهة أى عدوان شيوعى سافر أو نشاط هدام مستتر خفى ، مع التأهب ، فى الوقت نفسه ، للتفاوض بغية الاهتداء إلى الوسائل الكفيلة بإقرار السلام

وتوطيد أركانه ، وهى ترمى إلى تأييد الأمم المتحدة وتمكينها من الاضطلاع بالرسالة السامية الموكولة إليها ، وبذل كل جهد ممكن فى سبيل نزع السلاح ، وتسخير الطاقة الذرية للأغراض السلمية ، وتحرير التجارة الدولية.

وفى هذا يقول الرئيس الأمريكى : « لقد حدث فى العام الماضى تقدم يبرر الأمل فى استمرار السلام ، وفى أن تسود العالم الحرية والعدالة آخر الأمر . ولقد أصبحت الأمم الحرة مجتمعة أقوى الآن منها فى أى وقت آخر خلال الأعوام الأخيرة» . ثم يقول « وأخيراً أصبح العالم فى سلام ، بيد أنه سلام غير مستقر ، غير أن البشرية كلها تجد فى هذه الحقيقة البسيطة ، وهى أن وجه الأرض خلا من المعارك الكبرى فترة من الزمن ، حقيقة تبعث على الأمل ، وهذه الحقيقة نفسها تدفعنا إلى مضاعفة جهودنا مع جهود الأمم الأخرى فى سبيل البشر . . إن هذه الأحداث مشجعة حقا ، وأملنا فى اطراد التقدم كبير ، بيد أن هناك مشكلة ذات بال ، فأداة الكتلة الشيوعية العسكرية الضخمة وأطماعها لا تزال تشيع القلق فى العالم » .

ومعنى هذا أن أيزنهاور يرى أن السلام لايزال غير ثابت الأركان ، على الرغم مما ذكره عن الانتقال إلى اقتصاد سلمى ، وأنه لا بد من الكفاح فى سبيل إرساء السلام على أساس دائم ثابت لمنع وقوع الكارثة الذرية .

أما ما يحتمه هذا كله فى الداخل فهو ذو شقين : أولهما حاجة الرئيس الأمريكى إلى تأييد ممثلى الحزبين الكبيرين الديمقراطى والجمهورى ، والثانى

الاستمرار فى تعزيز وسائل الدفاع القومى اتقاء للعدوان الخارجى والتخريب الداخلى على السواء ، ومن ذلك زيادة القوات المسلحة مرونة وقابلية للتحرك السريع ، ومضاعفة كفايتها ، مع العناية بالأسلحة الجوية والأسلحة الحديثة بوجه خاص .

ولقد حصل أيزنهاور على وعد من الحزبين بتأييده فى كل ما يتصل بالشئون الخارجية وشئون الدفاع ، ومعنى هذا أن التعاون بين الحكومة والكونجرس سيكون مثمراً فى هذين الميدانين وفى سائر الميادين ، على الرغم من أن زمام الموقف فى الكونجرس قد انتقل أخيراً من أيدى الجمهوريين إلى أيدى الديمقراطيين .

يطيب لى أن أقدم جزيل شكرى إلى كل من عاونني على إخراج هذا الكتاب ، وأخص بالذكر الزملاء الكرام الأساتذة نجيب كنعان ، السكرتير العام لتحرير « الأهرام » ، وفايق لطف الله وعمر عبد العزيز أمين وأحمد عادل المحررين بالقسم الخارجى ، ثم الصديق الوفى الأستاذ زهير الكزبرى ، ضابط الاستعلامات بمركز الأمم المتحدة فى الشرق الأوسط .

ج . ع .

كتب أخرى للمؤلف

نهرو

من مشكلات العصر الحديث	نقد
فرويد والتحليل النفسى	نقد
قوى الموت : لجى دى موباسان	نقد
تراجم موجزة	نقد

تحت الطبع

اعرف نفسك بنفسك

العالم الأحمر

الحرب الباردة

الحب سلعة

العالم بأسره يعرف وجوه هوليوود ... القدود الممشوقة، والخصور الضامرة، والوجوه الفاتنة الساحرة التى تعلوها تيجان من الشعر الذهبى الرائع، والأظافر المتقنة التكوين والتلوين.

بيد أن وجوه الهوليووديات، وأجسامهن، وشعرهن الذهبى لا تمثل وجوه الأمريكيات وأجسامهن وشعرهن ... فإن شعر الكثرة الغالبة من الأمريكيات أميل إلى السمرة، وهن لسن نحيفات كنجوم هوليوود...

... ثمة قرائن عديدة حملتنى على الظن أن الأمريكيين يميلون إلى الاعتقاد أن فكرة الحب ينبغى أن تباع للشعب كسائر السلع ! ! .

* * *

.... أما أناقة النيويوركيات فحدث عنها ولا حرج، وهن يذكرنك بالباريسيات واللندنيات فى وقت واحد. قالوا: باريس ترقص، وروما تغنى، ولندن تعمل... وفاتهم أن يقولوا إن نيويورك ترقص، وتغنى، وتعمل، فى آن.

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY